عجائب فرعونية

أمجاد من تراثنا

تأليف

عزيز منصور

الكتاب: عجائب فرعونية.. أمجاد من تراثنا

الكاتب: عزيز منصور

الطبعة: ٢٠٢٠

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة
جمهورية مصر العربية
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

APA

E-mail: news@apatop.comhttp://www.apatop.com

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر

منصور ، عزيز
عجائب فرعونية.. أمجاد من تراثنا / عزيز منصور
– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.
١٧١ ص، ١٨*٢١ سم.
الترقيم الدولى: ٤ – ١٩ – ٦٨١٨– ٩٧٧– ٩٧٨
أ – العنوان رقم الإيداع : ٧٢٧٠ / ٢٠٢٠

عجائب فرعونية
أمجاد من تراثنا





مقدمة

هذه بعض موضوعات عن أمجاد من تراثنا القومي وتاريخنا المجيد، يسرني أن أقدمها إلى أبناء الوطن وطلاب العلم.

وقد استهدفت التعريف ببعض النواحي الهامة فتحدثت عن أول مؤرخ مصري دون تاريخ البلاد وعن معبد عظيم اكتشف أخيراً في الواحات الخارجة، وعن تمثال كبير لأحد الفراعنة لم يعرف صاحه، على وجه التحقيق بعد.

كذلك تحدثت عن كنوزنا الفنية في متاحفنا وفي المتاحف الكرى خارج البلاد، وأوضحت كيف تسرب بعضها إلى الخارج.

ومن بين موضوعات هذا الكتاب كيفية كشف أهم مقبرة ملكية، لم تمتد إليها أيدي الناهبين ووصف لمحتوياتها الرائعة.

كذلك تناولت بعض الفنون والصناعات القديمة ومدى الرابطة بينها وبين الفنون والصناعات الحديثة، وغير ذلك من موضوعات.

أملي أن ينتفع بهذا الكتاب في نشر ثقافتنا القومية.

ساهم في نشر هذا الكتاب مشكورين كثيرون من الأفراد والهيئات، فلهؤلاء خالص التقدير والعرفان.

المؤلف

مانيتو

يعتبر المؤرخ المصري مانيتو أول من وضع حجر الأساس في بناء التاريخ المصري القديم.

ومانيتو–تكتب أحياناً مانيتون– هو الاسم الإغريقي للمؤرخ المصري الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد وهو تحريف للاسم المصري القديم مرى إن تحوت[١]، وقد نشأ في مدينة سمنودفي نفس الوقت الذي شيدت فيه مدينة الإسكندرية وأثناء قيام دولة البطالمة وعاصر بطليموس الأول الملقب بسوتر وبطليموس الثاني الملقب فلادلف اللذين أنشئت في عهدهما جامعة الإسكندرية.



[١] تفسير هذا الاسم محوب المعبود تحوت هذا ويرى بعض العلماء أنه أشتق من الاسم المصري القديم مرى أن تحوت وتفسيره حقيقة تحوت ويفسر البعض هذا الاسم على أنه يعني محبوب نايت معبودة السماء.

ولعالم أثري معاصر رأي في اسم مانيتو أنه اشتق من الكلمة القبطية المركبة مان حتو ومعناها سايس.

وكانت سمنود واسمها المصري ج نترت واسمها الإغريقي سبنيتوس إحدى عواصم الدلتا الهامة طول عهد الفراعنة إذ كانت عاصمة الإقليم الثاني عشر من أقاليم الدلتا كما أنها أصبحت عاصمة البلاد كلها أثناء الأسرة الثلاثين أي إلى وقت قريب قبل مانيتو(٢).

مانيتو كان كاتباً ومؤرخاً

ذكر مانيتو في خطاب أرسله إلى بطليموس: "ولدت في سمنود وعشت في هليوبوليس، وكنت كاتباً في معابد مصر المقدسة ثم أصبحت كبيراً للكهنة" وبذلك أتيحت له الفرصة لدراسة التاريخ المصري والعبادات المصرية القديمة من مصادرها على أيدي الكهنة حملة العلم ومن النصوص التي سطرها القدماء على جدران المعاد أو في ملفات البردي التي كانت تحفظ داخل المكتبات الملحقة بالمعاد الكبرى.

لذلك فإن التاريخ الذي كتبه مانيتو يعتبر مرجعاً هاماً ويمتاز عما عداه مما كتبه الإغريق، فقد كان هؤلاء أجانب عن البلاد يجهلون عادات الأهالي لذلك كانوا يذكرون في كتاباتهم من غريب الوقائع ما يثير الدهشة والاستغراب، بل إن تاريخ مانيتو يمتاز عن النصوص الخطية إذ كثيراً ما يكون تفسيرها غامضاً أو صعب التأويل وذلك لأغراض قد تكون دينية أو سياسية.

قسم مانيتو تاريخ مصر إلى أسرات ملكية وأورد في مقدمتها قائمة بأسماء الملوك الذين تولوا عرش البلاد قبل الملك مينا الذي اعتبره أول

(٢) زار المشرع الإغريقي صولون مدينة سمنود فوجدها مدينة مزدهرة بالعلم ومركزاً للثقافة الإغريقية.

ملك في الأسرة الأولى ثم قسم ملوك مصر ثلاثين أسرة ملكية .. وقد ساعد تقسمه هذا على فهم التاريخ المصري.

وقد اتبع تقسيمه وسار عليه من خلفه من المؤرخين الأقدمين والحديثين، وقد أرادوا أن يقربوه إلى الأفهام فقسموه عصوراً جمعت الأسرات ذات الصفات المشتركة فأطلقوا على عهد حكم الملوك الذين سبقوا مينا عصر ما قبل الأسرات وعلى الأسرتين الأولى والثانية العصر الطيني –نسبة إلى طينة– ومكانها الحالي قرية البربا على بعد ستة كيلو مترات غرب مدينة جرجا وبالقرب من العرابة المدفونة –وهي موطن ملوك هاتين الأسرتين.

ثم عصر الدولة القديمة وتشمل الأسرات من الثالثة حتى السادسة.

والفترة المتوسطة الأولى من الأسرة الساعة إلى الحادية عشرة.

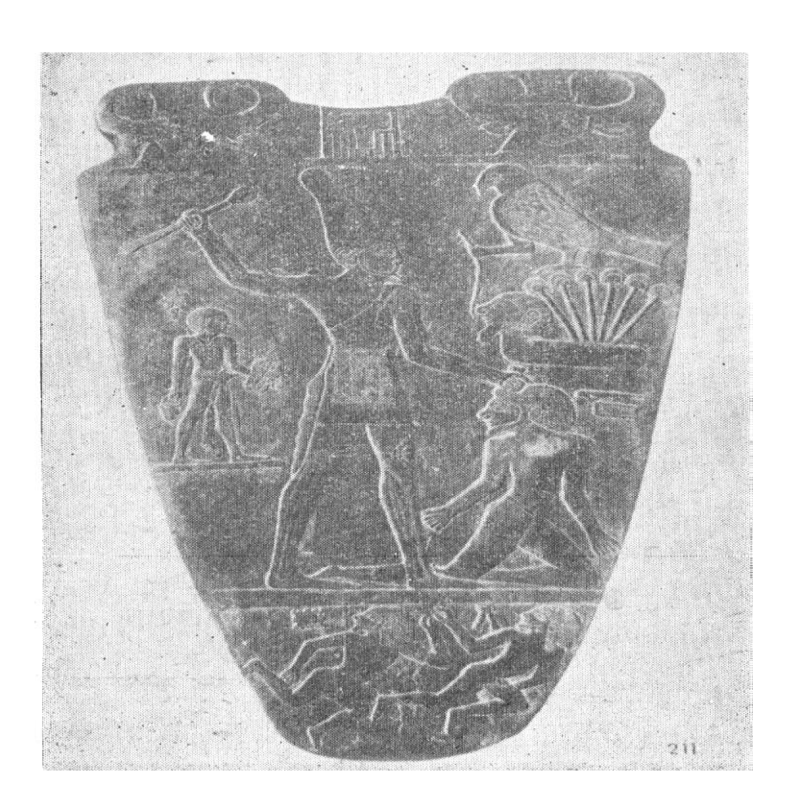
والدولة المتوسطة وتشمل الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة.

والفترة المتوسطة الثانية من الأسرة الثالثة عشرة إلى الأسرة السابعة عشرة.

ثم الدولة الحديثة من الأسرة الثامنة عشرة إلى الأسرة العشرين.

والعهد المتأخر ويشمل بقية الأسرات، من الأسرة الحادية والعشرين إلى الثلاثين.

وقد اتبع هذا التقسم كثير من المؤرخين نذكر من بينهم قانديبهودريوتون في كتابهما مصر الذي ترجم أخيراً إلى اللغة العربية.



لوحة نعرمر .. إحدى مستندات التاريخ المصري القديم

كان مانيتو يتبوأ بين علماء ذلك العهد مكاناً ممتازاً إذ كان على رأس جماعة العلماء الذين أطلق عليهم "علماء العهد السكندري" وكانوا على إلمام تام باللغة الإغريقية يتكلمون ها ويحاضرون فضلاً عن لغاتهم الأصلية.

ومحاضرات مانيتو عن تاريخ اللاد وعباداتها القديمة التي كان يلقيها على طلاب العلم الذين وفدوا على جامعة الإسكندرية كانت تجد من التقدير ما تجده كتاباته الآن من المؤرخين وعلماء الآثار وكانت في نفس الوقت نشراً للثقافة المصرية في أرجاء العالم المتمدين وهم في

ذلك الوقت سكان البحر الأبيض المتوسط.

قرر المؤرخ الإغريقي بلو تارك[٣] أن مانيتوكان المستشار الديني لبطليموس الأول في حفلة تقديم تمثال المعبود سرابيس في معبد الإسكندرية، وعبادة سرابيس هي إدماج للعقيدتين المصرية والإغريقية .. وقد ورد في الأساطير أن سرابيس هو الآن الثاني للمعبود بتاح ويمثل على هيئة عجل يحمل فوق رأسه الرموز الملكية وهي قرص الشمس والصلان وقد حرص البطالمة على نشر هذه العبادة بين طبقات الشع توطيداً لسلطتهم وتقرباً إلى الأهالي، وقد وفقوا فيما ذهبوا إليه إذا استمرت عادة سرابيس حتى نهاية العصر الروماني.

وقد استعان البطالمة بمانيتو في التعريف بهذه العقيدة ونشرها بين الأهالي حيث أقيم حفل داخل معبد راكوتيس حوالي ٢٧٨ قبل الميلاد في الموضع الحالي حيث يوجد كوم الشقافة.

وقد وجدت بقرية الحيبة شرق الفشن ورقة من البردي يرجع تاريخها إلى عام ٢٤١ قبل الميلاد ورد فيها اسم مانيتو موسوماً بمنصب ديني ذي شأن في عبادة سرايس كما عثر في أطلال معبد سرابيسبقرطاجنة على قاعدة تمثال من الرخام نقش عليها اسم مانيتو أقيم اعترافاً بفضله في تنظيم عبادة سرابيس.

ويدل هذا دون شك على أهمية المركز الديني الذي وصل إليه مانيتو.

---

[٣] ويسميه العرب أفلوطرخس

وقد نسب إلى المؤرخ المصري مانيتو عدة مؤلفات:

الأول في تاريخ مصر.

والثاني عن نجم الشعري اليمانية.

والثالث كتاب في الإلهيات.

والرابع ملخص في القوانين الطبيعية.

والخامس عن الأعياد.

والسادس في اطقوس القديمة والعبادات.

والسابع عن صناعة البخور.

والثامن في انتقاد كتابات هيرودوت.

ويشك بعض المؤرخين في نسة الكتاب الثاني عن نجم الشعري اليمانية، كما أنهم لا يعتبرون انتقاد كتاات هيرودوت مؤلفاً قائماً بذاته ويرون أن مؤلفات مانيتو قصرة على تاريخ مصر والأساطير المصرية والآثار.

ويرى عض المؤرخين أن مانيتو صنف ثلاثة كتب فقط وهي:

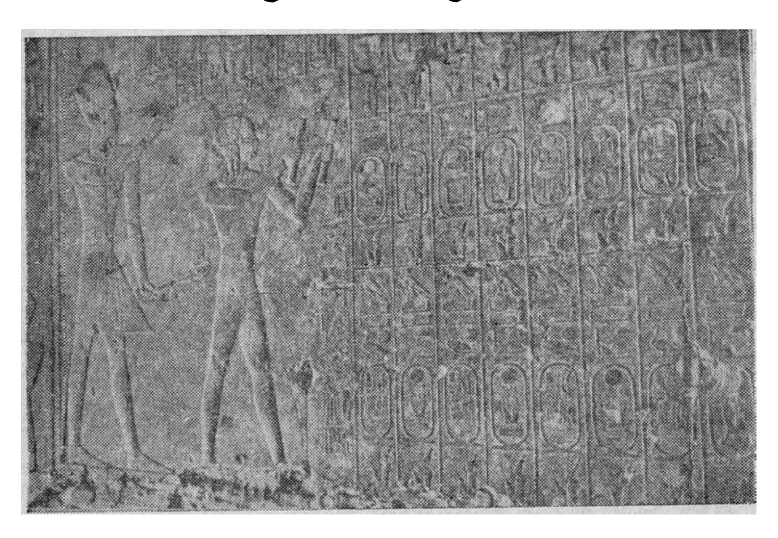
تاريخ مصر وكتاب الإلهيات وملخص المذاهب الطبيعية أما كتااته عن الأعياد والطقوس القديمة والعبادات وصناعة البخور فما هي إلا فصول من كتاب الإلهيات.

وسواء صحت نسبة هذه المؤلفات إلى مانيتو أم تطرق إلى بعضها

الشك فقد ضاع معظمها مع الأسف وفقد ما كتبه اللهم إلا مقدمته التي وصلت إلينا عن طريق الكتاب الإغريق الذين نقلوها أو لخصوها.

وقد أثبتت الاستكشافات الأثرية صحة المعلومات التي وصلت إلينا وصدقها إلى حد يثير الدهشة والإعجاب مما حدا ببعضهم إلى الظن أن تاريخ مانيتو كان مسطوراً على جدران المعابد كتبته سيشات إلهة الآداب ومعبودة المكتبات وليس لمانيتو إلا فضل نقلها إلى اللغة الإغريقية.

وهذا ثناء ليس بعده مطمع يصبو إليه مؤرخ.



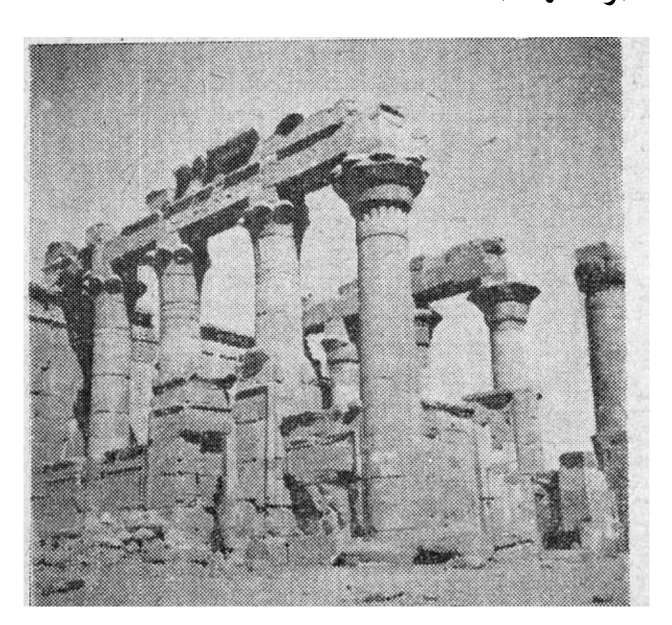
قائمة بأسماء ملوك مصر بمعبد سيتى بالعرابة المدفونة

معبد هيبس بالواحات الخارجة

أجريت منذ سنوات مضت ترميمات لمعبد آمون الواحة الخارجة المعروف باسم معبد هيبس وذلك لتصدع جدرانه حتى خيل لمن رآه أنه كان على وشك الانهيار.

وكلمة هيبس هي تحريف للكلمة المصرية القديمة "هيبت" وتعني واحة –وكلمة واحة أيضاً ليست عربية الأصل بل هي الكلمة المصرية القديمة "أواحيت" بعد أن حدثت فيها إمالة.

فمعبد هيبس يعني معد الواحة.. ويعتر هذا المعبد من أحدث المعابد الكبرى عهداً بالكشف.



البهو الخارجي لمعبد هيبس بالواحات الخارجة

ويرجع الفضل الأول في كشه إلى الرياح ثم إلى بعثة متحف متروبوليتان خلال السنوات من ١٩٠٩ إلى ١٩١١ إذ كانت تغطيه تلال من الرمال المتحركة المعروفة عند أهالي الواحات باسم الغرود، وإلى هذه الرمال يرجع الفضل في الاحتفاظ بهذا المعبد الذي شيده داريوس الأول الفارسي في القرن الخامس قبل الميلاد تمجيداً للمعبود آمون ولما لم يتمكن من إتمام بنائه أكمله الملك نخت نب الثاني (نكتنابوس الثاني عند الإغريق) وشيد صالة الأعمدة الخارجية خلال السنوات ٣٥٨ و ٣٤١ قبل الميلاد.

كمان الإمبراطور الروماني جالباً نقش نصاً مكوناً من واحد وستين سطراً باللغة الإغريقية عام ٦٩ ميلادية على إحدى البوابات الكبيرة التذكارية.

وأقسام معبد هيبس الرئيسية هي:

الهيكل أو قدس الأقداس

بهو داخلي ذو أعمدة مسقوة.

هو خارجي ذو أعمدة وبواكي على الجانبين وهي نصف مسقوفة.

الفناء الخارجي وهو غير مسقوف.

وصرح المعبد وهو بوابة ذات أبراج والمدخل الرئيسي للمعبد، ويقام على جانبي الصرح عادة تمثالان للملك الذي شيد المعبد وبجانب كل منهما مسلة.

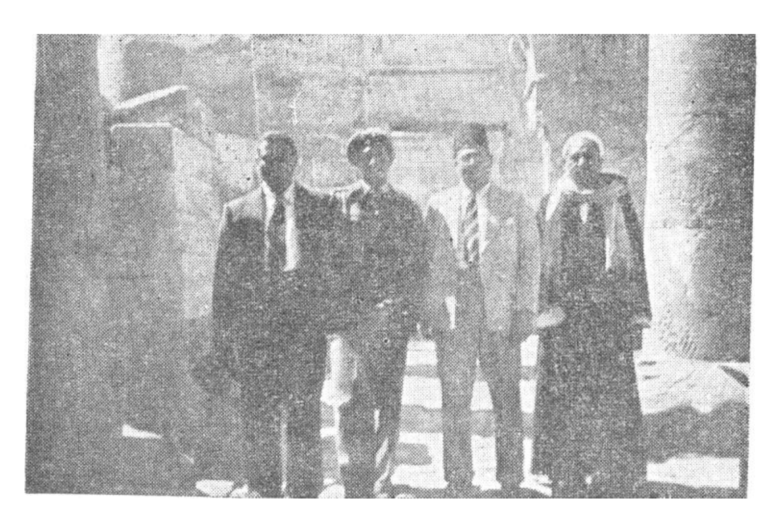
يملك أهالي الواحات عيون المياه الجارية دون الأراضي الزراعية وتقسم مياه العين الواحدة بينهم بالقراريط بنسب مختلفة كل حسب ما يستحق وتورث ملكية مياه العيون لذلك قد يشترك في ملكية العين الواحدة عشرات الأفراد.

وطريقة توزيع المياه بينهم فريدة في نوعها فقد يستحق بعض الورثة الانتفاع مياه العين لمدة أسبوع وقد يستحق بعضهم الآخر مدة ربع ساعة فقط، ويزرع الأهالي الأرض التي ترويها مياه العين كل بحسب اجتهاده وبنسبة نصيبه من المياه، ويعتر الفرد منهم الأرض التي يزرعها ويرويها في حيازته أو ملكه على حد قوله ما دام يستطيع ريها فإذا ما شحت المياه أو غاضت العين لسبب ما وعجز عن ري الأرض تركها وبحث عن عين جديدة وأرض جديدة.

وقل سنة ١٩٠٩ كان معبد هيبس مغطى تماماً بالغرود وتلال الرمال وكان بالقرب منها عين مياه جارية كانت تعرف باسم "عين الخراب، ثم أدل اسمها فيما بعد إلى "عين البربا".

وكما هو معلوم حيثما وجدت المياه انتشرت النباتات ودبت الحياة، لذلك امتلأت هذه التلال زراعات الأهالي وأشجارهم المختلفة كالنخيل وأشجار الزيتون وسائر النباتات التي تزكو بها أرض الواحات.

فلما كشف المعبد بعد سنة ١٩١١ ونزعت بطبيعة الحال زراعات الأهالي وأشجارهم ونخيلهم لم يكتفوا بالمطالبة بقيمتها أو بتعويض مناسب ولكنهم طالبوا بحقهم في ملكية المعبد؟!



أحد أهالي الواحات يطالب بملكية معبد هيبس ويحمل بإحدى يديه مستندات الملكية

ومن الطريف رؤية بعضهم يتجمعون حول رجال الآثار الذين يرتادون هذه المنطقة ويطالونهم بالتحلي لهم عن المعبد لأنهم كانوا أصحابه الحقيقيين المالكين له شرعاً بموجب المستندات التي يتأبطونها ....

يعتر معبد هيبس من المعالم الأثرية الهامة في تاريخ الفن المصري وذلك نظراً إلى نقوشه الفريدة في نوعها ذات الألوان الجميلة التي لا تزال حافظة لرونقها الجميل ويمتاز أيضاً بأنه ينتمي إلى العصر الفارسي الذي قلما توجد آثار باقية تنتمي إليه كذلك يعتبر هذا المعبد حلقة الاتصال بين معابد الدولة الحديثة ذات الصبغة المصرية الصميمة وبين معابد عهدي البطالمة والرومان التي تأثرت بمؤثرات خارجية.

وكانت توجد في الناحية الشرقية من المعبد بركة ماء كانت ملحقة بالمعد وجفت الآن ولا يزال يشاهد بقايا المرسى والرصيف المشيدين بالأحجار الرملية على حاتها الغربية حيث يمتد الطريق المؤدي إلى

المعبد تتخلله بوابات تذكارية كبيرة من الحجر الرملي.

ولا شك أنه كانت على جانبي هذا الطريق تماثيل للكباش قد يعثر على عضها مطموراً في الرمال إن نظمت حفائر فنية للحث عنها، على أن الطريق الآن مملوء بأشجار النخيل الممتدة على جانبيه حتى ينتهي عند صرح المعبد.

وأبراج المعبد مهدمة وكذلك أجزاء من فناء المعبد وبهو الأعمدة الخارجية، وتشاهد في هذا البهو عض تيجان الأعمدة على شكل زهرة اللوتس وبعضها على شكل سعف النخيل.



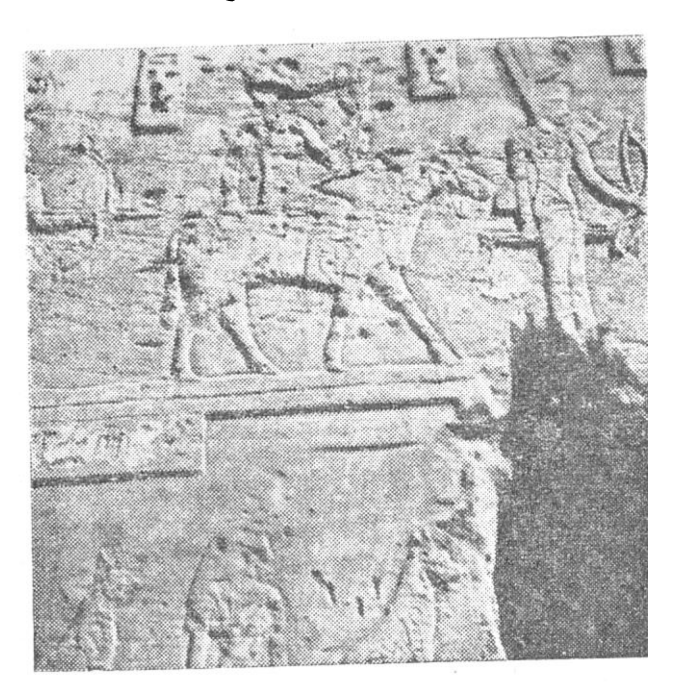
المعبود هورس على هيئة طائر الباشق (الصقر) وقرص الشمس المجنح وملك يطأ عدوه بقدميه

وفي البهو الداخلي على اليمين رسمت لوحة نادرة لا مثيل لها للمعبود هورس على هيئة طائر –الصقر المصري– ثم على هيئة قرص الشمس المجنح ثم على هيئة ملك منتصر يطأ عدوه الذي مثل على

شكل تنين ضخم برجليه ويطعنه بالحرة، وقد ركت هذه الأشكال كلها معاً دون أن تفقد جمالها الفني الأخاذ.

وفي هيكل المعبد نقوش هامة للآلهة والمعبودات أهمها نقش للمعبودة عشتروت تمتطي صهوة جوادها وتقبض بيديها على قوس وسهام.

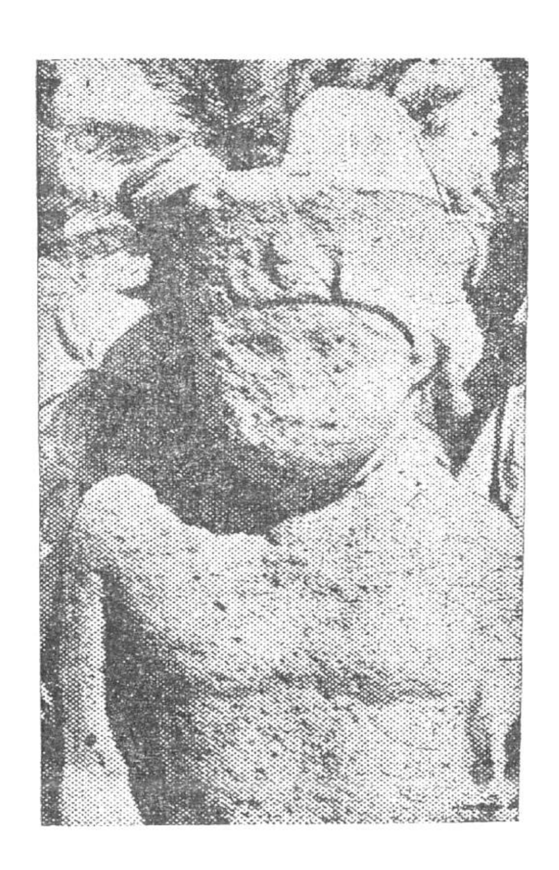
وهذا النقش غير مألوف في المعابد المصرية الصميمة بل هو الوحيد من نوعه ويوجد إلى يسار الهيكل درجات منالسلالم تؤدي إلى سطح المعبد حيث شيدت غرفة صغيرة نقش على أحد جدرانها المعبود خنوم يشكل إنساناً من طين على دولاب صانع الفخار.



المعبودة عشتروت تمتطي صهوة جواد وتقبض بيديها على قوس وسهام

ومن بين النقوش الهامة رسم للملك داريوس الأول يقدم القرابين للمعبود آمون وقد ذكر في قائمة القرابين أنواع نبيذ الواحات الذي كان ذا شهرة عظيمة وقد أشار إلى ذلك المؤرخ هيرودوت وغيره من الكتاب القدماء.

تمثال معبد هيبس



التمثال الذي اكتشف بمعبد هيبس بالواحة الخارجة

يرجع تاريخه إلى القرن الخامس قبل الميلاد

عثر في أثناء أعمال الترميم في معبد هيبس على تمثال كير كان مطموراً بالقرب من مدخل المعبد تحت إحدى القاعدتين الحجريتين التي تشاهد بقاياها جانب صرح المعبد.

ويبلغ طوله ثلاثة أمتار ونصف وهو من الحجر الرملي الأحمر، نفس الأحجار التي بنى منها معبد هيبس وقد قطعت هذه الأحجار من محجر قريب من المعبد على الحافة البحرية لمنخفض الواحات التي تظهر على شكل هضبة، وكما استغل قدماء المصريين هذه المحاجر قديماً فإنها استغلت أيضاً لجلب الأحجار اللازمة لترميم هذا المعبد.

والتكوين الجيولوجي لهذه الأحجار جعلها هشة غير متينة –لذلك عندما كشف التمثال على عمق غير بعيد من سطح الأرض لم يكن سليماً أو حافظاً لكيانه بل كان به عدة كسور وتآكل في الوجه حتى تبادر الظن إلى من رآه لأول مرة أنه غير كامل الصناعة ولولا ذلك لأعتبر هذا التمثال من تحف الفن المصري المعدودة بفضل الدقة في إظهار تقاطيع الجسم وقسمات الوجه نسب أعضاء الجسم فهذه كلها تمتاز بالدقة.

وق نقش على ظهر التمثال كتابات هيروغليفية محاها الزمن لا تكاد تبين، وقد يمكن بمعالجتها الوصول إلى كنهها لمعرفة صاحب هذا التمثال، وهو محصور بين اثنين لا ثالث لهما ... فإما داريوس الأول الفارسي الذي بدأ بناء المعبد وإما نخت نب الثاني آخر من تولى عرش مصر من الملوك الفراعنة.

ويحدثنا التاريخ عن داريوس أنه تولى الحكم بعد قمبيز بين السنوات ٥٢١ و ٤٨٦ قبل الميلاد– وقد عمل مدة حكمه على تقدم مصر في مختلف النواحي فمن مشروعاته ربط النيل بالبحر الأحمر بقناة ملاحية.

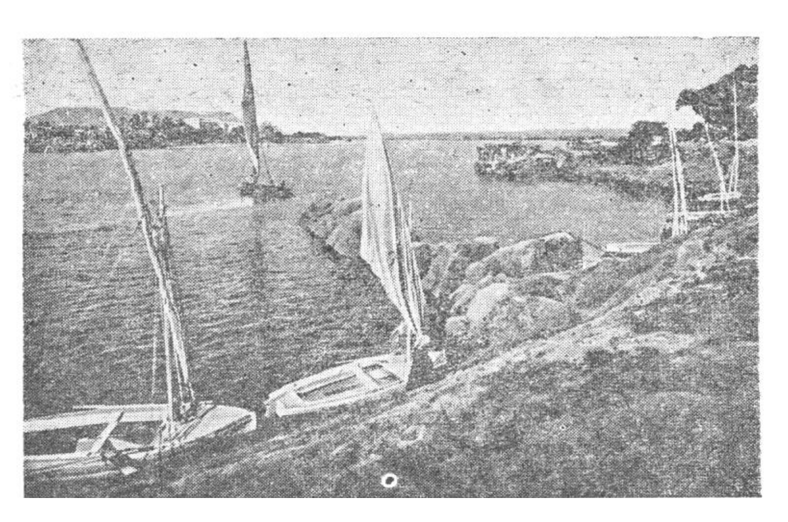
كما أنه ولى وجهه شطر الواحات، سبقه قمبيز بشن حملة حربية ضد أهالي الواحات، أما داريوس فقد شيد معبد الآمون.

وعلى أثر موقعة ماراثون عام ٤٩٠ قبل الميلاد طرده المصريون ومن معه من الفرس.

أما نخت نب الثاني فهو آخر الفراعنة الذين تولوا عرش البلاد، وفي أيامه عاد الفرس بقيادة ارتكسيرسس إلى البلاد وحاربوا نخت نب فقاومهم ولكن تغلب عليه الغزاة ففر إلى الجنوب ... ولكنه قبل ذلك تمكن من تشييد كثير من المعابد في أنحاء البلاد أو أتمها ومن هذه الأخيرة معبد آمون بالواحة الخارجة.

وسواء أظهرت الاستكشافات فيما بعد –حقيقة صاحب هذا التمثال سواء كان داريوس أم نخت نب أم لم تظهر فلا يغير هذا من الحقيقة بأن الفن المصري– وفن صناعة التماثيل على الأخص– قد ظل محتفظاً ببهائه وبإخراج تماثيل رقيقة تمتاز بالرشاقة والدقة إلى نهاية حكم الفراعنة.

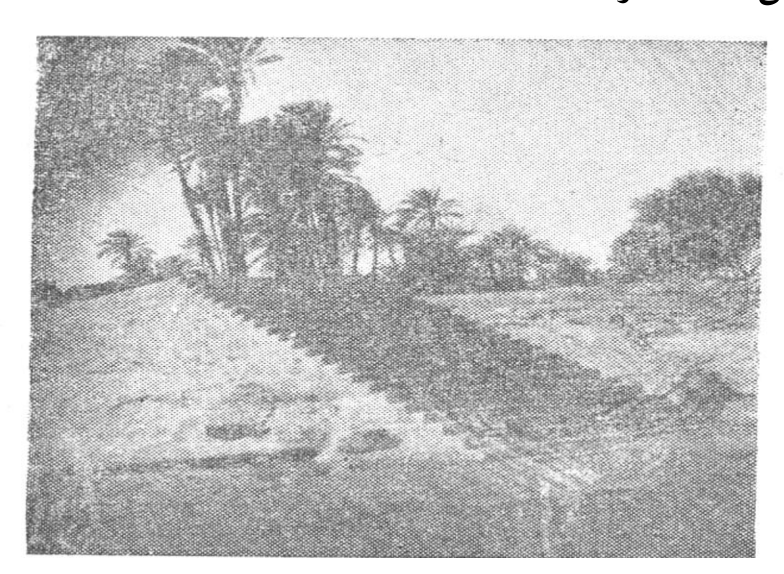
متحف آثار أسوان



نهر النيل أمام متحف أسوان

يرجع الفضل في إنشاء هذا المتحف إلهة خزان أسوان، فعندما فكر رجال الري في ضبط مياه النيل وتشييد خزان لهذا الغرض وما يترتب على ذلك من ارتفاع منسوب المياه خلف الخزان وغمر أراضي بلاد النوبة ولوجود جبانات مصرية قديمة ومناطق أثرية تغمرها مياه الخزان، لذلك أوفدت وزارة الأشغال البعثات العلمية من موظفي مصلحة الآثار الفنيين وقد كانت هذه المصلحة تتبع وزارة الأشغال في ذلك الوقت واستمر ذلك حتى سنة ١٩٣٨ حين ضمت إلى وزارة المعارف العمومية وذلك للتنقيب عن الآثار في هذه الأراضي حتى منسوب ١١٣ متراً فوق سطح البحر وهو المستوى الذي وصلت إليه مباني التعلية الأولى للخزان سنة ١٩٠٧.

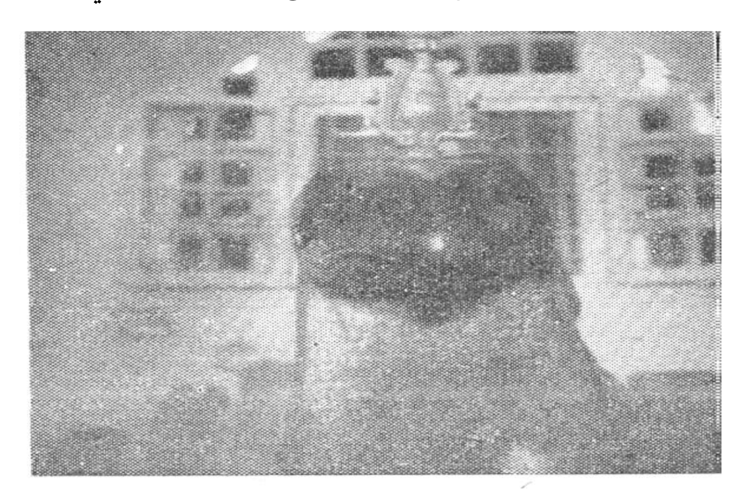
وقد وقفت هذه البعثات إلى آثار هامة ساعدت الباحثين على كشف الكثير عن حضارة هذه المنطقة الجنوبية –من الوادي التي تمتد من أسوان شمالاً حتى الحدود الجنوبية لبلاد النوبة، وقد جمعت هذه الآثار فكانت هي النواة الأولى في تكوين المتحف وأضيف إليها ما عثر عليه بجزيرة الفنتين والجزر التي حولها مثل سهل وسلوجه وفيله وعواض والهيسة وغيرها، وعرضت في المنزل الذي خصص في وقت ما لإقامة المهندس الذي أشرف على بناء الخزان سنة ١٩٠٢ ثم على التعلية الأولى سنة ١٩٠٧ فيما بعد والذي أصبح بعد إجراء تعديلات طفيفة مبنى متحف أسوان.



مرسى متحف أسوان على النيل

لذلك فإن الآثار التي يحويها هذا المتحف تعتبر في الوقاع سجلاً ثقافياً هاماً لمنطقة بلاد النوبة في مختلف العصور.

وبدراستها يمكن استيعاب جميع التطورات الثقافية التي مرت على هذه المنطقة من عصر ما قبل الأسرات حتى العصر الإسلامي الأول.

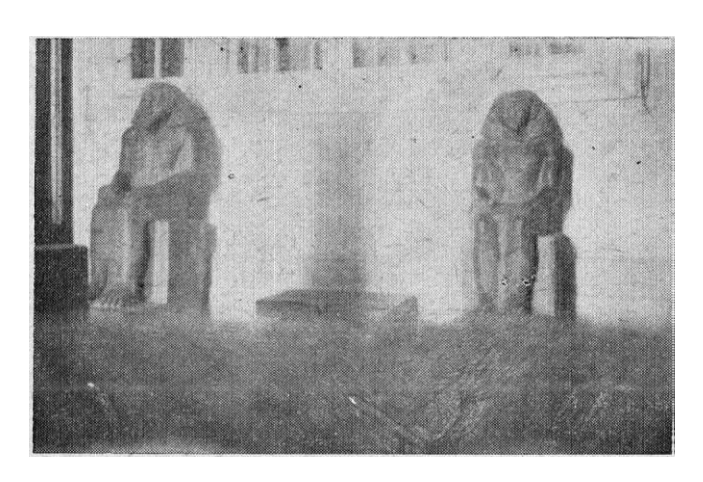


مومياء خنوم داخل متحف أسوان

يتكون هذا المتحف من بهو واحد وأربع قاعات وشرفة خارجية نسقت فيها الآثار تنسيقاً بديعاً.

ففي البهو عرضت مومياء كبش وهو الحيوان المقدس للإله خنوم معبود جزيرة الفنتين ومنطقة الشلال وقد عثر على هذه المومياء محنطة ومدفونة داخل تابوت من الحجر في جبانة لهذا الحيوان المقدس تجاوز مبنى المتحف.

ويرجع عهد هذه المومياء إلى عصر البطالمة المتأخر.

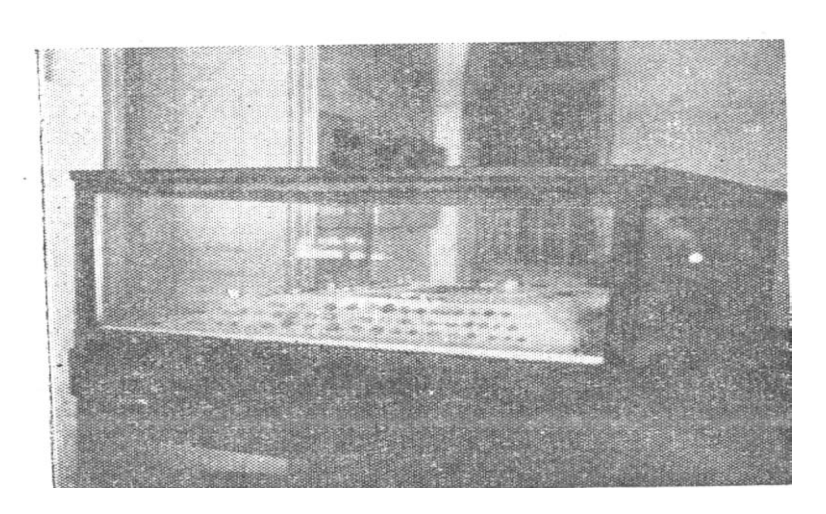


تمثالان من الجرانيت لحاكمين لاقليم الفنتين

يشاهد فوق رأس الكبش تاج إيزيس المعروف في اللغة المصرية القديمة بتاج "آتف" ومعناه التاج المركب لأنه يتكون من "الطاقية" الت يتلبس فوق الرأس يعلوها قرنا كبش، على جانبيهما ثعبانان، يمثلان معبودين ينتمي أحدهما إلى الصعيد والآخر إلى الدلتا يحميان لابس التاج، ويعلو هذه شكل يمثل باقة من الخضروات يتوسطها قرص الشمس وعلى جانبيها ريشتان، ثم أخيراً قرص الشمس يعلو التاج.

يواجه هذه المومياء تمثالان من الجرانيت لحاكمين من حكام الفنتين يرجع عهدهما إلى الدولة الوسطى وهما حقاً ايب وخما وقد كشفا بين أطلال معابد الفنتين القديمة التي بنى المتحف في سطها، ويتسم هذان التمثالان بدقة التعبير ووضوح الملامح ويمكن أن يستشف منهما سيماء العظمة والروح العالية، في حلم وأناة مما اتصف به حكام الجنوب الذين كانوا ينوبون عن فرعون في حكم هذه المنطقة حتى لقبوا "بأبناء فرعون".

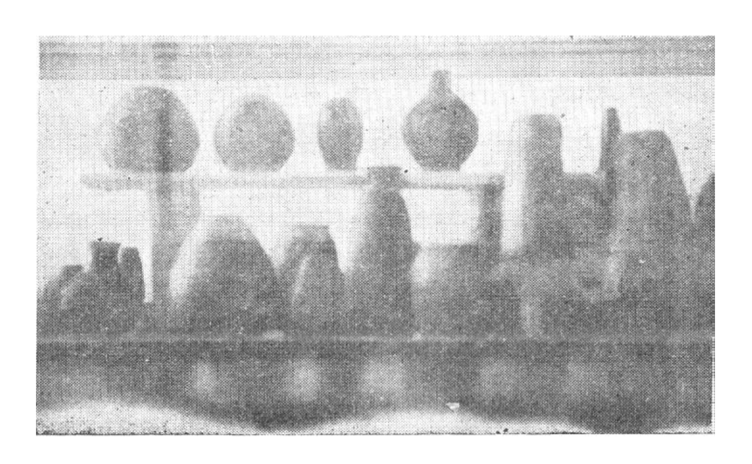
وإذا اتجهنا إلى اليسار أشرفنا على قاعة وضع فيها أنموذج لمعابد جزيرة فيله (أنس الوجود) بمقياس واحد إلى مائة (١-١٠٠) وهو من عمل المهندس هنري مازيه.



مجموعة من الحلى والقلائد

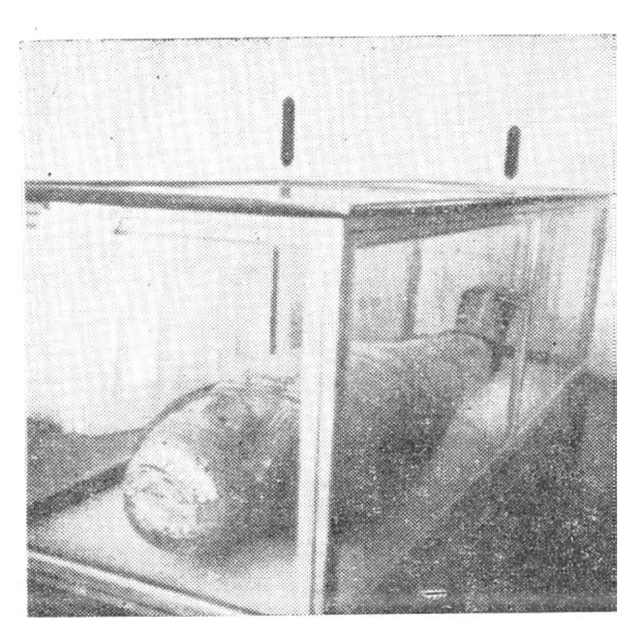
وقد عرض هذا الأنموذج في القسم المصري من معرض الفنون الجميلة الذي عقد بباريس سنة ١٩٣٧.

أن مجموعة الحلي والقلائد المعروضة هنا سواء كانت من الذهب أم الأحجار الكريمة أو نصف الكريمة كالعقيق والمرجان والياقوت واللازورد والجمشت (الأماتيست) أم حبات الزجاج مما تسترعي النظر لصناعتها المتقنة وعلى الأخص قلادة حاتحور، وحباتها من الحجر الثعباني الداكن وقد شكلت على مثال رأس حاتحور وقد بلغت الذروة من روعة الفن وحسن الذوق وهي عبارة عن تمائم تعني السعادة والفأل الحسن.



مجموعة من الفخار

وكذلك توجد مجموعات من الفخار الأجنبي استوردت مملوءة بالزيوت من سوريا ومن جزيرة قبرص وهذا يوضح مدى العلاقات التي وجدت في وقت ما بين هذه المنطقة والعالم الخارجي.



مومياء محنطة لأحد كهنة الفنتين

وفي القاعة الرابعة عرضت عدة مومياءات محنطة لا تزال محفوظة في لفائفها ترجع إلى عهد البطالمة وقد عثر عليها بجبانات الفنتين وجزيرة الهيسة وفي بلاد النوبة.

وينفرد متحف أسوان عن بقية متاحف الآثار بالإقليم المصري بعرض المومياوات على أنظار الزائرين ففي المتحف المصري قد حجبت المومياوات داخل أبهاء المتحف بعيدة عن الأنظار، كما عرضت أيضاً توابيت من الحجر عليها كتابات بالهيروغليفية.

وكذلك عرضت حلي وأوان ترجع إلى العهد البيزنطي وأدوات كنسية ومباخر من البرونز عليها علامة الصليب ترجع إلى أوائل العهد المسيحي وقد عثر عليها بكنيسة مضيق بالنوبة.

أما الشرفة فقد نسقت بها مجموعة من اللوحات والشواهد بكافة اللغات والكتابات التي مرت على هذه المنطقة، فبعض هذه اللوحات قد كتب بالهيروغليفية وأخرى بالديموطبقية وغيرها بالهيراطيقية واليونانية وبالكتابة القبطية وبالكتابة العربية بمختلف خطوطها وأخصها الكوفية.

ومعظم هذه اللوحات والشواهد قديم العهد ويرجع أحداثها إلى مستهل العهد الإسلامي الأول.

وتوجد لوحة مكتوبة بلغة غير معروفة إذ لم تفك رموزها بعد وهي كتابة مروى وقد بذل المهتمون جهوداً مشكورة في هذا السبيل وأن لم يكن قد حالفهم التوفيق بعد فلعله يؤاتيهم ويوفقون إلى ما يعملون له جادين صامتين.

إن هذا المتحف بما يحوي من قطع فنية ولوحات هو خير معهد لدراسة التاريخ الحافل لهذه المنطقة التي كانت دواماً نقطة الاتصال بين شقي الوادي الكبيرين.

تاج إيزيس وتاج أوزوريس

في عصور سحيقة في القدم من تاريخ مصر وقبل عصر الأسرات التي حكمت البلاد عاشت في مصر قبائل متفرقة على طول وادي النيل من شاطئ البحر الأبيض المتوسط شمالاً حتى الشلال الأول في الجنوب، عند صخور إلفنتين حيث ينبع النيل بعد أن تنساب إليه المياه من الجنة كما ورد في أساطير الأقدمين.

كان لكل من هذه القبائل مميزاتها الخاصة وكيانها كما كان لها زعيمها ومعبودها المحلي.

وقد استمرت هذه القبائل تناضل بعضها بعضاً، يفرض القوى منها سلطته على الضعيف حتى تكونت أخيراً دولتان قويتان، اقتسمتا الوادي أحدهما في الجنوب هي "الصعيد" والأخرى في الشمال وهي "الدلتا".

وكان التاج الذي يلبسه ملك "الصعيد" مشتقاً من اللبدة البيضاء التي كان أهل الصعيد يلبسونها واستمروا في ذلك حتى اليوم.



تاج أوزيريس المشتق من اللبدة

أما تاج ملك الدلتا فكان عبارة عن طاقية من جلد عجل البحر (السيد قشطة) الذي كان يعيش في ذلك الوقت في أحراش الدلتا وبراريها.

وكانت تدبغ الطاقية باللون الأحمر وتعلوها ريشة طائر -لذلك كان هذا التاج يشبه الطربوش إلى حد كبير.

ولما تمكن مينا، ملك الصعيد من غزو الدلتا وضمها إليه رأى أن يتخذ له تاجاً يجمع بين التاجين رمزاً إلى اتحاد البلدين وتوثيقاً لهذه العلاقة الأبدية التي تربط الشقين.

وقد اعتز الفراعنة بلبس هذه التيجان وكذلك ملوك البطالمة والرومان من بعدهم فسجلوا رسومهم على جدران المعابد والآثار وعلى

رؤوسهم هذه التيجان في مختلف الأعياد والمناسبات.

هذه لمحة وجيزة عن تطور التيجان منذ أول عهد الأسرات.

تاج أوزوريس

جاء في الأساطير أنه حكم مصر آلهة وأنصاف آلهة، ففي بوتو – تل الفراعين بشمال الدلتا– حكمأوزوريس بينما تولى أخوه ستحكم أمبوس قرب نفاذه بالصعيد.

ورغم أنهما كانا شقيقين إلا أن أوزوريس كان ملكاً عادلاً محباً للخير بينما كان ست شريراً.

وكانت إيزيس أختهما تحكم أيضاً إقليماً في الدلتا وكانت مثل أوزوريس محبة للخير لذلك أخبها أخوها وتزوجها فأنجبا الطفل هورس.

حقد ست على أخيه أوزوريس وأخذ يكيد له حتى استطاع بعد أن استعان بالمكر والخديعة التغلب عليه وقتله.

ثم تمكنت أخته وزوجته إيزيس أخيراً من إنقاذ جثته واستطاعت بفضل تلاوة تعاويذ سحرية أعادة الحياة إليه.

ولما كبر هورس حارب ست وهزمه منتقماً لأبيه، لذلك اعتبره قدماء المصريين الابن الشجاع المنتصر على الباطل.

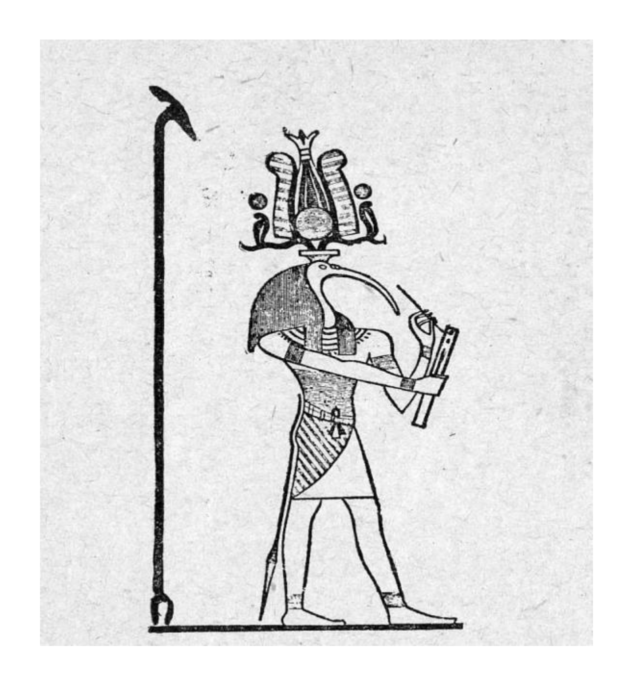
هذا هو ملخص الأسطورة وهي طويلة شيقة وعلى محورها تدور عقيدة قدماء المصريين الدينية.

ويهمنا الآن معرفة التيجان التي كانوا يزينون بها رءوسهم.

أما تاج أوزوريس فكان مكوناً من طافية يعلوها قرناً كبش على جانبيهما ثعبانان يمثلان معبودين، ينتمي أحدهما إلى الصعيد والآخر إلى الدلتا وهما يحميان لابس التيجان، ويعلو هذه رسم يمثل باقة من الخضروات يتوسطها قرص الشمس على جانبيها ريشتان ثم أخيراً قرص الشمس يعلو التاج.

وبمناسبة الحديث عن التيجان وهي مظهر السلطة والقوة فإنه كان يظاهرها حمل الصولجانات ولأن أوزوريس كان راعياً لذلك فإن الصولجانات التي يحملها هي عصا الراعي ذات الطرف المنحني المعقوف و"الزخمة" أو السوط المتعدد الفروع الذي يحرص الراعي على حملها دائماً.

ونظراً لأنه يعتبر في العقيدة الدينية إله الموتى فإنه يظهر دواماً مكفناً—أي ملفوفاً في أربطة على شكل مومياء.



تاج أوزيريس المركب آتف فوق رأس إله الحكمة

تاج إيزيس

أما تاج إيزيس فهو عبارة عن "طرحة الرأس" وهي الزي النسائي المعروف وقد هيئت على شكل الباشق الطائر المعروف ورأس الطائر أمام جبهة المعبودة كأنه يحميها من الأرواح الشريرة أما جسم الطائر فيكون فوق الرأس والجناحان على الجانبين يخفيان الأذنين بينما يغطي ذيل الطائر مؤخرة الرأس.

وفوق الرأس مقعد هو كرسي عرشها وهو يعني باللغة المصرية القديمة اسمها (ايزت– إيزيس).

وقد يستند هذا المقعد أحياناً على قرص الشمس بين قرني البقرة حاتحور.

وهذا ويلاحظ أن التاج المخصص لكل من أوزوريس وإيزيس لم يقصر لبسه عليهما وحدهما بل كان يتزيا به غيرها من المعبودات أو الملوك ويشاهد ذلك جلياً على الآثار.



تاج إيزيس

التمائم ذات الأثر السحري

اعتقد المصريون القدماء في البعث فلا تنتهي حياة الإنسان بعد موته بل أنه سيحيا وستكون حياته المستقبلة في عالم جديد لا يختلف عن هذا العالم إلا في خلوه من الآثام والشرور.

وكانت عقيدتهم هذه حافزاً قوياً للمحافظة على جثث الموتى وصيانتها حتى لا يتطرق إليها التلف، لذلك تفننوا في بناء المقابر وتزويد الميت بالأشياء التي كان يألفها عندما كان حياً فأمدوه بالتماثيل الخاصة به وأفراد عائلته مثل زوجته وأولاده وحشمه وخدمه كما أمدوه بالطعام والقرابين التي تقيه شر الجوع في حياته المستقبلة فرسموا على جدران المقابر وعلى جوانب التوابيت موائد القرابين المملوءة بالطعام، وكانوا يعتقدون أنه بمجرد تلاوة قراءات سحرية خاصة سيصبح هذا الرسم طعاماً يأكله الميت.

وفي نفس الوقت حنطوا جثث موتاهم لحفظها من التلف حتى لا يتطرق إليها البلاء وقد مارسوا ذلك بطريقة بدائية في أول عهدهم إذ كانوا يضعون الجثة في الرمال حتى تجف وكانت هذه هي أبسط طرق التحنيط، وقد تدرجوا إلى طريقة أخرى هي وضع الجثة في محلول ملحي لبضعة أسابيع وكان ينزع المخ

بوساطة جفت من فتحة الأنف، ثم تنزع الأحشاء من البطن وتوضع

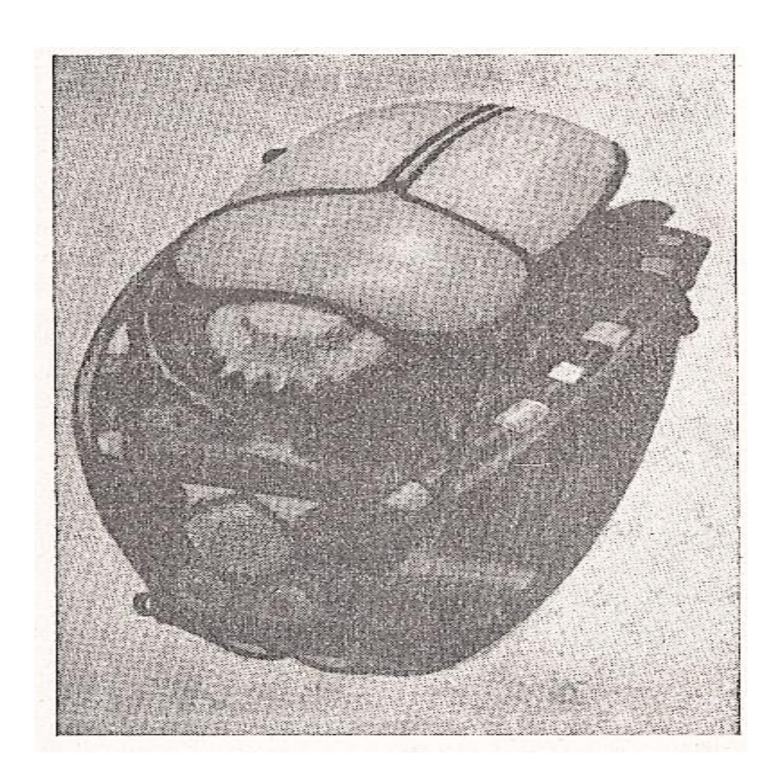
في أربعة أوانٍ تعرف باسم الأواني الكانوبية وهي أواني ذات أغطية تحمل رؤوسًا لأربعة آلهة تقوم على حراستها، هي أمستى بشكل إنسان ويحرس الكبد، وحابي بشكل قرد ويحرس الرئتين، ودوامو تف بشكل ابن آوى ويحرس المعدة، وقبح سنيوف بشكل الصقر ويحرس الأمعاء.

وكان يملأ تجويف المخ بمواد طبية مجففة أما القلب فكان ينزع من الجسم ويوضع مكانه تميمة على شكل جعران.

والتميمة هي الأداة التي تتسم بقوة سحرية وقد تحلى بها المصري القديم في أثناء حياته وعند مماته زوّد بعدد منها أثناء إقامة مراسيم التحنيط وعند الدفن لتكون وقاية لجثته من الفناء.

والتمائم على أشكال مختلفة كان يصنع بعضها من الأحجار الكريمة وهذا أقلها أما معظمها فمن مختلف المعادن كالزجاج والخشب والأحجار والفخار.

وأهم هذه التمائم الجعران وهو حشرة الخنفساء ذات اللون الأسود والبريق المعدني وهي الرمز الديني للمعبود خبر رع الذي يشكل الإنسان ويسويه حسب عقيدة وأساطير القدماء.



الجعران تميمة القلب

وقد عثر على الكثير من هذه الجعارين من الأماتيست أو العقبق أو اللازورد ومن الفيانس والزجاج والطين المحروق وقد نقش على بعضها الفصل الثلاثون من كتاب الموتى.

أما تميمة الحياة "عنخ" فهي تعني العبث أي الحياة بكثرة مع المومياءات.

وتميمة "أنشوطة إيزيس" تصنع عادة من مادة ذات لون أحمر كالعقيق أو الياشب وأحيانًا من الحجر السماقي الإمبراطوري أو الجرانيت الوردي أو الزجاج الملون.

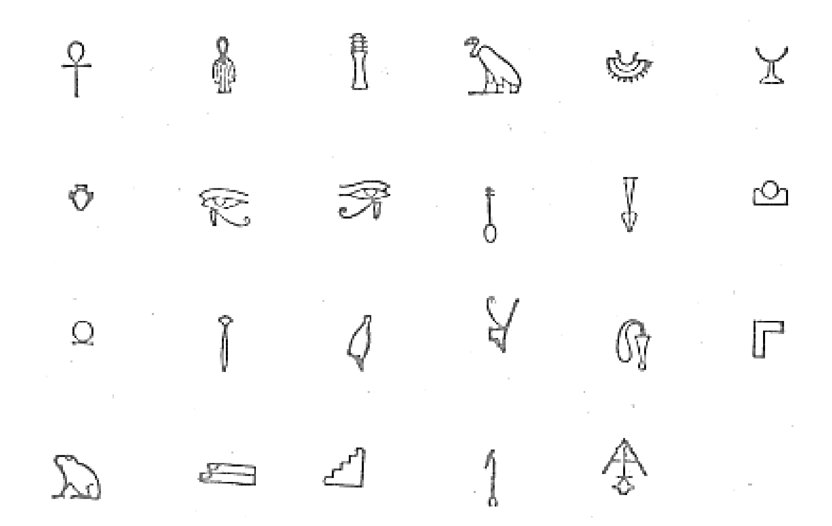
ويرمز للون الأحمر إلى دم أوزيريس وموضع التميمة هو رقبة المومياء، وينقش عادة على هذه التميمة الفصل الـ ١٥٦ من كتاب الموتى.

وتميمة "جد" توضع تحت رقبة المومياء لحمايتها وتعني الكلمة المصرية الثبات والدوام، وينص الفصل الـ ١٥٥ من كتاب الموتى بضرورة عملها من الذهب.

وتميمة "موت" وهي تميمة تصنع أيضًا من الذهب وينص الفصل الـ ١٥٧ من كتاب الموتى على وضعها في عنق المومياء في أثناء الدفن وهي رمز لحماية إيزيس، المعبودة الأم.

وتميمة "أوسخ" وهي قلادة من الذهب كانت توضع حول رقبة المومياء في يوم الدفن لتعطيه قدرة على فك أربطة الأكفان.

وتميمة "أورس" وهي تمثل مسند الرأس (المخدة) – الذي يوضع تحت رأس المومياء وتصنع عادة من حجر الهيماتيت وقد وصفت في كتاب الموتى الفصل الـ ١٦٦



مجموعة من التمائم

أما تميمة القلب "إيب" فهي تمثل أساس الحياة.

وتميمة "أوجات" وهي تمثل العين وتربط في مفصل اليد وهي تحمي لابسها من العين الشريرة ومن عض الثعابين وضد الكلمات التي تصدر في حالتي الغضب والحقد. وقد توضع "العينان" معًا وهما في هذه الحالة يرمزان إلى "عيني هورس" وقد يعنيان – اليسرى القمر واليمنى الشمس.

أما تميمة "نفر" فهي تعني الفأل الحسن والجمال وهي ربما تمثل آلة موسيقية.

وتميمة "سيم" وهي تمثل القصبة الهوائية والرئتين معًا وهي رمز الاتحاد قد اتخذت رمزًا لاتحاد شقي الوادي في مختلف عصور التاريخ المصري القديم.

وتميمة "آخت" وهي تمثل قرص الشمس عند شروقه من بين قمم الجبال وتوضع هذه التميمة في مؤخرة جسم المومياء.

وتميمة "واج" وهي على شكل ساق اللوتس وهي تصنع عادة من مادة خضراء وهي تمثل هبة الشباب الدائم.

وتميمة "حج" وهي تاج الصعيد الأبيض وقد اشتقت من "اللبدة" البيضاء، زي الرأس لأبناء الصعيد منذ أقدم العصور إلى اليوم.

وتميمة "دشر" وهي تاج الدلتا وقد اشتقت من "الطاقية" ولونها أحمر، وتصنع التميمتان السابقتان عادة من الفيانس وتطلى باللون الأزرق.

وتميمة "منات" وهي على شكل قلادة "الصفا" المعروفة وهي رمز لحماية الآلهة وكانت منتشرة في نهاية العهد المصري وأثناء العصر الصاوي.

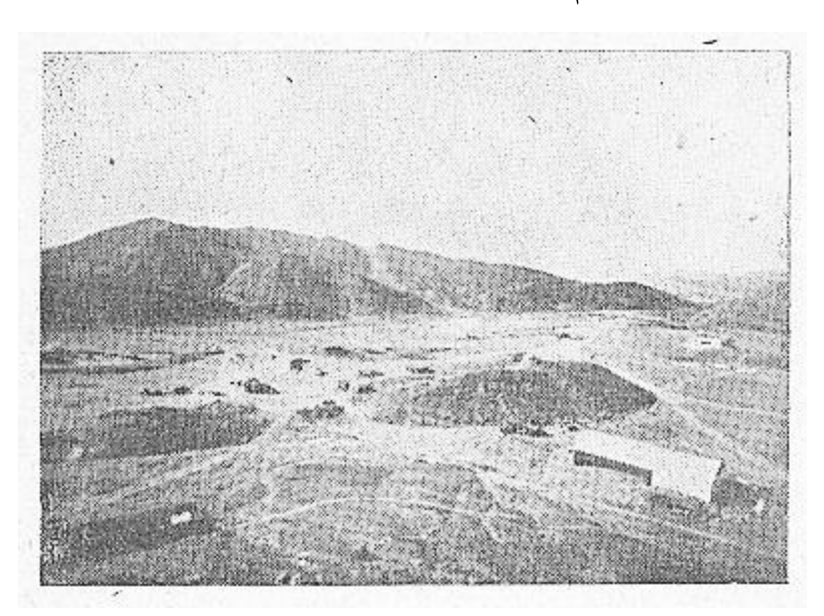
وتميمة "الأصبعين" وتوضع أيضًا في مؤخرة المومياء.

وتميمة الدرجات "السلالم" وهي تعني عرش أوزيريس وتساعد الميت على الصعود إلى السماء.

وفي المتحف المصري بالقاهرة عرضت مجموعات وفيرة من هذه التمائم.

كيف استغل القدماء مناجم الذهب

استغل قدماء المصريين معدن الذهب منذ أقدم العصور التاريخية وقد تركوا على امتداد صخور الصحراء الشرقية حيث تتركز ثروة مصر المعدنية آثار اشتغالهم.



منظر عام لمناجم السكري في الصحراء الشرقية

وقد استغلوا مناجم الذهب في سيناء وجنوب الوادي بالسودان ووادي العلاقي بالنوبة حتى أطلق اسم الذهب على بلاد النوبة إذ تعني الكلمة المصرية القديمة "نوب" الذهب.

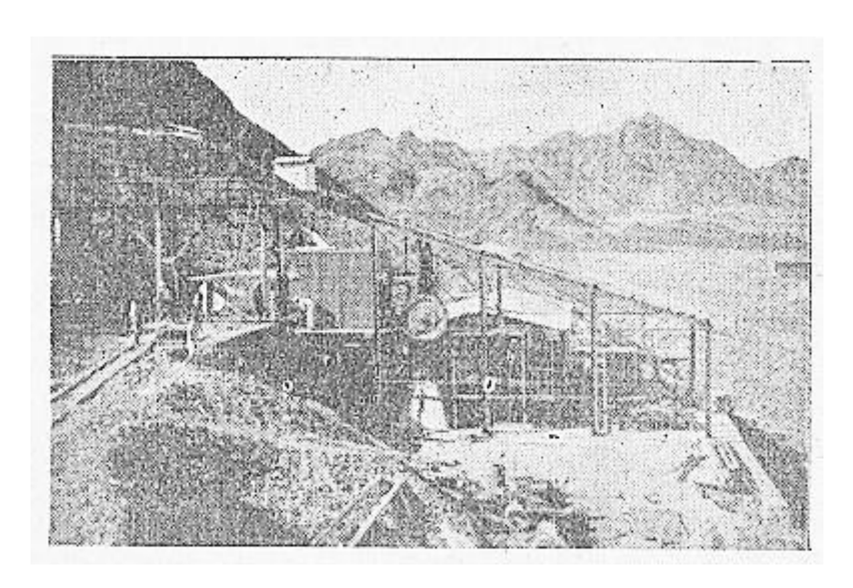
كان معدن الذهب في بادئ الأمر عبارة عن ذرات براقة منتثرة فوق

سطح الأرض وكانت تجمع باليد ولما تم استغلال الذهب بهذه الطريقة وجّه القدماء اهتمامهم إلى عروق المرو – الكوارتز – التي تحوي معدن الذهب فكسروها قطعًا صغيرة ثم طحنوها واستخلصوا منها الذهب بنفس الطريقة السابقة، ثم تتبعوا العروق في أعماق الأرض حتى مستوى المياه الجوفية وقد تعمقوا إلى مسافة ٤٠٠ قدم في منجم السيد بالفواخير في منتصف الطريق بين فقط والقصير.



كيف استغل القدماء مناجم الذهب في الصحراء الشرقية

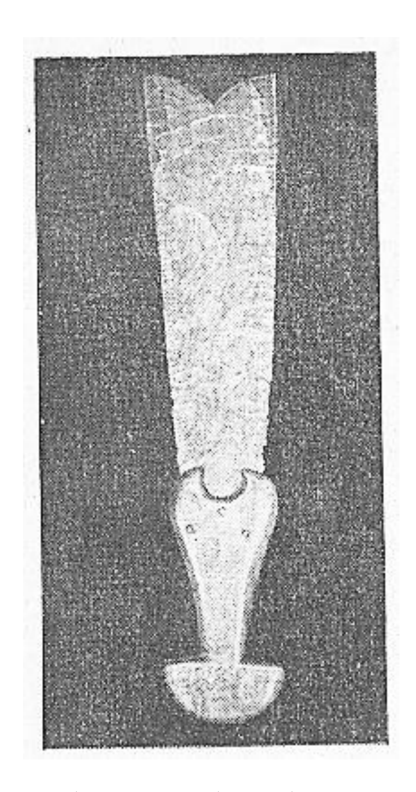
وقد ازدهرت صناعة الذهب بمصر منذ فجر تاريخها فقد عثر على أسلحة من الصوان يرجع تاريخها إلى عصر ما قبل الأسرات وقد صيغت مقابضها من الذهب الصافي ورسمت عليها رسوم غائرة مثل خنجر الصوان الذي عثر عليه بالجبلين والمحفوظ الآن بالمتحف المصري.



استخدام الآلات في مناجم السكري

وقد كشف بالعرابة المدفونة داخل مقبرة الملك "جر" من الأسرة الأولى، حلي مرصعة بالذهب متقنة الصناعة ذات جمال وروعة، كما عثر في دهشور على حلي بلغت شأوًا عظيمًا في الصياغة من حيث سلامة الذوق وبراعة الإتقان، وتنتمي إلى الدولة المتوسطة.

وفي عصر الإمبراطورية وجدت أساور من الذهب وعقود وقلائد من الأحجار الكريمة حليت حباتها بالذهب مثل مجموعة الملكة إياححتب.

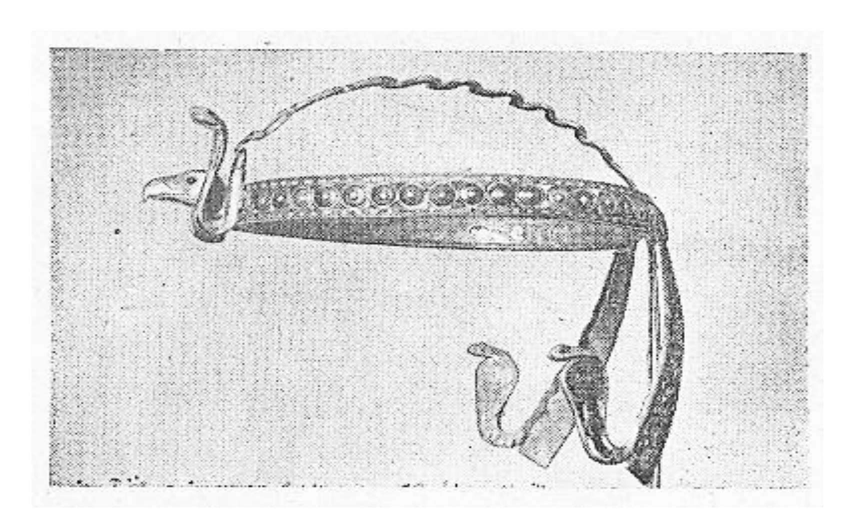


خنجر من الصوان له مقبض من الذهب

وقد يسرت لنا عادة وضع الحلي مع المومياءات دراسة أنواعها وطرق صياغتها المختلفة لاسيما صناعة العقود التي تنتظم حبات حليت بزينات من الذهب.

وفي بعض العهود المصرية كانت تغطى رءوس مومياءات الفراعنة وكبار الأشراف بطبقة رقيقة من الذهب، هذا بخلاف تمائم الذهب وحيات الصدر والأساور وغيرها.

أما مجموعة توت عنخ آمون فيقدر وزن الذهب وحده بمائة وعشرين كيلو جرامًا!



تاج من الذهب المرصع "من مجموعة توت عنخ آمون"

وقد لعب الذهب دورًا هامًا في أدبيات قدماء المصريين إذ ورد ضمن النصوص: جبل من الذهب، ضعف من الذهب، ثلاثة أمثال من الذهب، لونه كالذهب، مغطى بطبقة من الذهب.

كان الإشراف على المناجم ومراقبة استغلالها في عهد الفراعنة من أهم اختصاصات وزير الأشغال لذلك كان يتردد بنفسه على المناجم وقد سجل بعض الوزراء هذه الزيارات بنقشها على جدران المناجم وعلى امتداد الطرق المؤدية إليها.

ولوزير الأشغال نائب يقيم في منطقة العمل ووظيفته هي الإشراف على رؤساء العمل أو الفرق وتنظيم العلاقة بينهم.

وكانت الفرقة الواحدة تتكون من عشرة عمال غير رئيسهم، وكثيرًا ما كانت أواصر القربى تجمع بين العمال وبعضهم من ناحية أو بينهم وبين رئيسهم من ناحية أخرى.

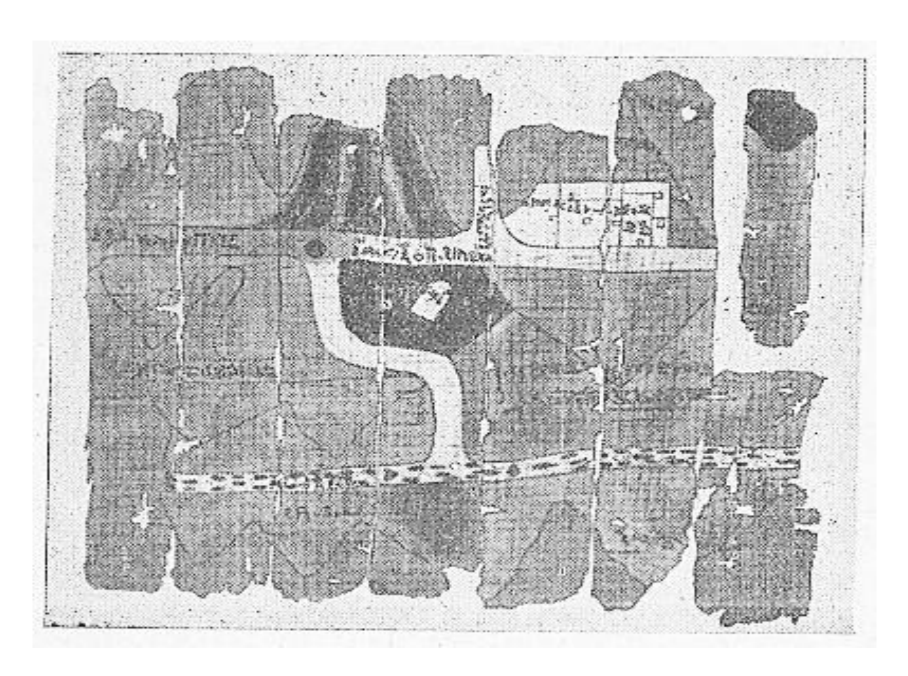
ولم يحل هذا بطبيعة الحال دون قيام عوامل المنافسة بينهم إذ كانت تسعى كل فرقة ليكون لها الشأن الأول.

وكانت السخرة أو القسوة معدومتين تمامًا إذ كثيرًا ما يكون رئيس الفرقة والد بعض العمال أو يمت إليهم بصلة القربى كما سبق أن أشرنا.

كذلك كانت الدولة تهيئ لعامل المنجم حشدًا من الصناع لتوفير سبل العيش له، مثل الخبازين والسقايين والحمالين والحدادين والبرادين الذين يهيئون الطعام والكسوة كما يشحذون له الآلات التي يستخدمها في عمله – كما كانت الدولة تقدم الطعام والكسوة لعائلة العامل في قريته تحت إشراف رئيس القرية.

وكانت تكافئ العامل المجد بزيادة كميات الطعام واللحوم والشراب كما كانت تكافئ الممتازين من الرؤساء بمنح الأوسمة، وقد منح بعض هؤلاء وسام المناضل وهو على هيئة ذبابة وهو أرفع الأوسمة التي كانت تنمح لقواد الجيش والفاتحين.

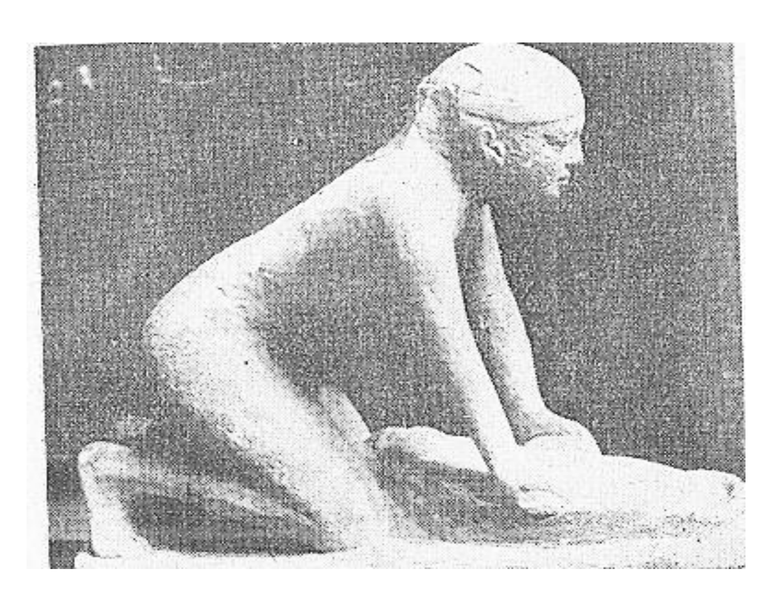
ومع أن طرق الاستغلال الحديث أدعى إلى راحة العمال وتوفير أسباب كثرة الإنتاج نظرًا لما استحدث من آلات ومعدات وتيسير سبل المواصلات إلا أن البون شاسع بين الاستغلال قديمًا وحديثًا.. إذ لا يحظى عامل المنجم اليوم بنفس الرعاية والعناية التي كان يحظى بها العامل قديمًا، وقد يكون هذا هو سر عدم التوفيق في استغلال المناجم على نطاق واسع.



أقدم خريطة لمناجم الذهب في الصحراء الشرقية – من عهد الرعامسة

وقد توقف الكثيرون عن الاستمرار في استغلال هذه المناجم وتخلوا عنها وذلك بالنظر إلى صعوبة النقل على ظهور الجمال والدواب للمسافات البعيدة التي توجد بها تلك المناجم. كما عجزت الشركات عن تمهيد الطرق لسير السيارات نظرًا لما تتكلفه من مبالغ جسيمة تفوق قدرتها المالية.

أما المناجم التي يجري استغلالها الآن فإنتاجها محدود يكاد يكفي لتغطية النفقات مع ربح لا يكاد يذكر، نذكر منها منجم "السيد" وتديره الآن شركة مصرية مساهمة وقد استغل قدماء المصريين هذا المنجم ورسموا خريطة ملونة تعتبر أقدم خريطة معروفة في العالم، إذ ترجع إلى عهد الملوك الرعامسة وهي الآن ضمن مقتنيات متحف تورين بإيطاليا.



طحن حجر المرو بالرحى المستطيلة

وتستخدم في هذا المنجم طرق الاستغلال القديم بجانب الأساليب الحديثة فبينما تشاهد المطاحن لطحن أحجار المرو ثم مزجه بالمياه فوق نسيج ممتد على سطح مائل حيث تتدفق المياه حامله معها الحجر المطحون بينما يتخلف الذهب لثقله النوعي وهي نفس طريقة الاستغلال القديمة، إذ تشاهد الأساليب الكيميائية والآلات الحديثة، وبفضل هذه الآلات تعمق العمل فيه إلى ١٥٠٠ قدم تقريبًا.

ويحتوي منجم أم الروس على كمية كافية من أصل الذهب تخلفت عن العمل القديم ويقدرها بعض المختصين بنحو ٣،٠٠٠ أوقية لذلك يمكن استئناف العمل في استغلاله ويكون مجزيًا من الناحية الاقتصادية.

وتقوم شركة مصرية مساهمة باستغلال منجم البرامية.

أما منجم السكري فقد كان من أهم المناجم التي استغلها قدماء المصريين على نطاق واسع. وقد قامت الحكومة باستغلاله منذ عشرات السنين ولكن اعترضتها بعض الصعوبات وأهمها عدم كفاية الإنتاج برغم كثرة ما يتكلفه من مصروفات فأعلنت إدارة المنجم أنه تم استغلاله وانتقل العمل إلى مناجم أم عود والحنجلية وهي أيضًا أثرية ولكن لم يتم القدماء استغلالها.

وقد زارها في الأيام الأخيرة السيد وزير التجارة وعقد اجتماعات مع لجان مختلفة لدراسة الوسائل الكفيلة باستغلالها من الناحية الاقتصادية.

وقد قدر العارفون ما تحويه من أصل الذهب بنحو عشرة آلاف أوقية.

وقد قرّ الرأي على استغلالها بالاشتراك مع إحدى الشركات المصرية على أن تساهم الحكومة بنسبة ٥١% من رأس المال.

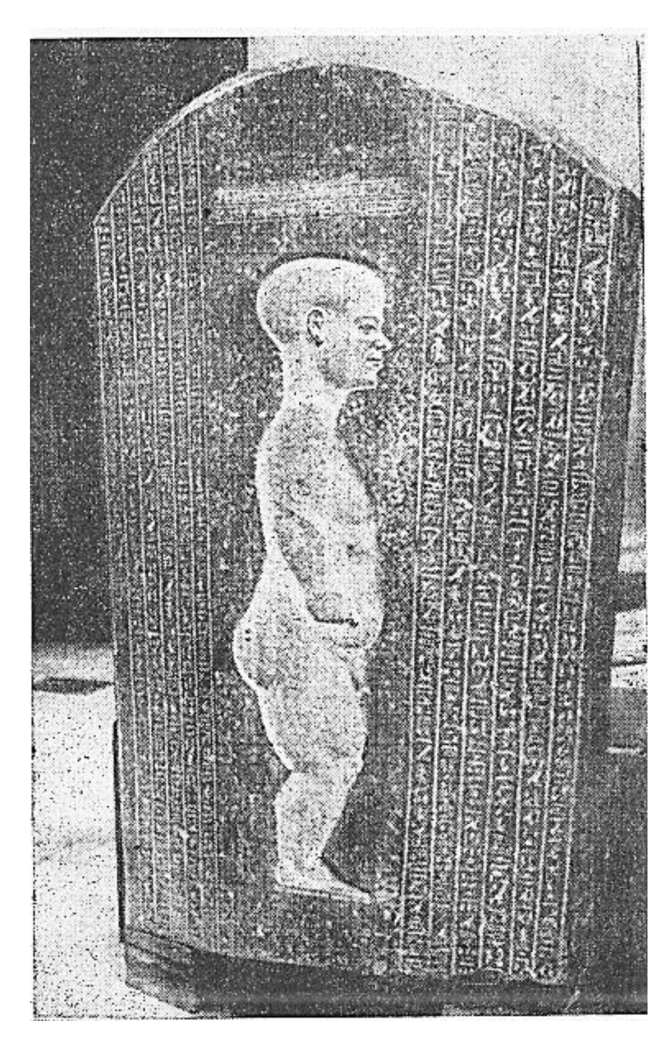
هذا وقد استغل قدماء المصريين أيضًا مناجم الذهب في جنوب الوادي بالسودان في مناجم العتبى ودنقلا وفي فازوغلي. وكذلك في مناجم أم باردي وبني شنقول، وأهم هذه المناجم في جبيت المعادن – على ساحل البحر الأحمر وتستغله شركة إنجليزية، ولا يعلم مقدار إنتاج هذه المناجم بالضبط إذ يصدر الذهب الغفل المستغل منها رأسًا إلى الخارج.

الأقزام الذين أعجب بهم الفراعنة

عرف قدماء المصريين الأقزام منذ فجر التاريخ، فمنذ الأسرة الثالثة أي منذ نحو ٥،٠٠٠ سنة مضت، أخذت البعثات التجارية والحربية تتجه صوب البلاد المجاورة حتى وصلت إلى وسط أفريقيا حيث تعيش قبائل الأقزام، وقد اتصلوا بهم دون شك وأحضروا أفرادًا منهم إلى مصر.

وقد وردت رسوم هؤلاء الأقزام على آثار الدولة القديمة وكان يطلق عليهم المصريون اسم "دنج". وكانوا يلحقون بخدمة فرعون وأشراف البلاد وكان يعهد إليهم حفظ الملابس والمقتنيات الثمينة كالحلي والجواهر. والسبب في ذلك واضح فالقزم لا يمكنه استعمال ملابس سيده كما أنه لا يستطيع الفرار حاملاً الجواهر والحلي إذا ما سولت له النفس الأمارة بالسوء – أن يسرقها، لأنه يسهل في هذه الحالة اقتفاء أثره والعثور عليه.

وظل الأقزام يتدرجون في المناصب حتى وصل بعضهم إلى أرفع درجات الدولة فالقزم خنومحتب– على سبيل المثال – الذي عاش في زمن الأسرة السادسة أي منذ ٤٣٥٠ سنة كان كاهنًا فضلاً عن قيامه بوظيفة المشرف على خزانة الملابس الملكية وتمثاله المصنوع من الحجر الجيري الناصع البياض الذي وجد بمقبرته بسقارة ذو شهرة عظيمة وهو محفوظ بالمتحف المصري.



القزم جحوتيحتب كان يرقص لمولاه



القزم خنومحتب... أصبح وزيرًا

ولهذا القزم قصة طريفة توضح مدى عناية الفراعنة منذ أقدم الأزمنة بهذا النوع من الأجناس البشرية التي تمتاز بقصر القامة وقصر الأطراف بصفة خاصة يصحبه في الغالب تشويه في البدن.

وقد سطر ذلك على جدران مقبرة بأسوان للأمير خوف حر حاكم الفنتين فقد أُرسل المذكور على رأس بعثة إلى وسط أفريقيا حيث تعيش قبائل الأقزام. ويظهر أن خوف حر أرسل إلى بلاط فرعون أنه سيحضر معه قزمًا هدية لفرعون الذي كان عمره آنئذ ثماني سنوات فسر الملك عندما بلغه هذا النبأ السار وأرسل إليه خطابًا جاء فيه:

"حرر بالقصر الملكي في اليوم الخامس عشر من الشهر الثالث من الفصل الأول من السنة الثانية "من حكمنا" خطاب ملكي إلى السمير الوحيد كاهن الطقوس وقتئذ القوافل خوف حر.. رفع إلى مسامعنا موضوع خطابك الذي أرسلته إلى القصر بشأن عودتك مع أفراد الجيش سالمين من بلاد إيام.

قلت في خطابك أنك أحضرت معك هدايا عظيمة وجميلة منحتها المعبودة حاتحور سيدة عامو إلى ملك الصعيد والدلتا بيبي الثاني له الحياة إلى أبد الآبدين.

قلت في خطابك أنك أحضرت قزمًا يرقص من بلاد الأشباح بماثر القزم الذي سبق أن احضره بوردد من بلاد بونت في أيام الملك إيسيسي.

قلت لجلالته "لم يسبق لأحد ممن زار بلاد إيام أن أحضر مثله". إنك تعمل دوامًا على مرضاة سيدك وتنفيذ أوامره. ستمنح مكافآت عظيمة تكون لك بمثابة تشريف لقدرك ولابنك من بعدك ولابن ابنك وهكذا، حتى يعلم الجميع رضانا عنك.

عد فورًا إلى البلاط ومعك القزم حيًا سليمًا من بلاد الأشباح ليرقص وليفرح قلب ملك الصعيد والدلتا نفر كارع له الحياة إلى الأبد.

اتخذ الترتيب اللازم لحراسته أثناء العودة وعيّن أفرادًا يلازمون جوانب المركب حتى لا يسقط في الماء.

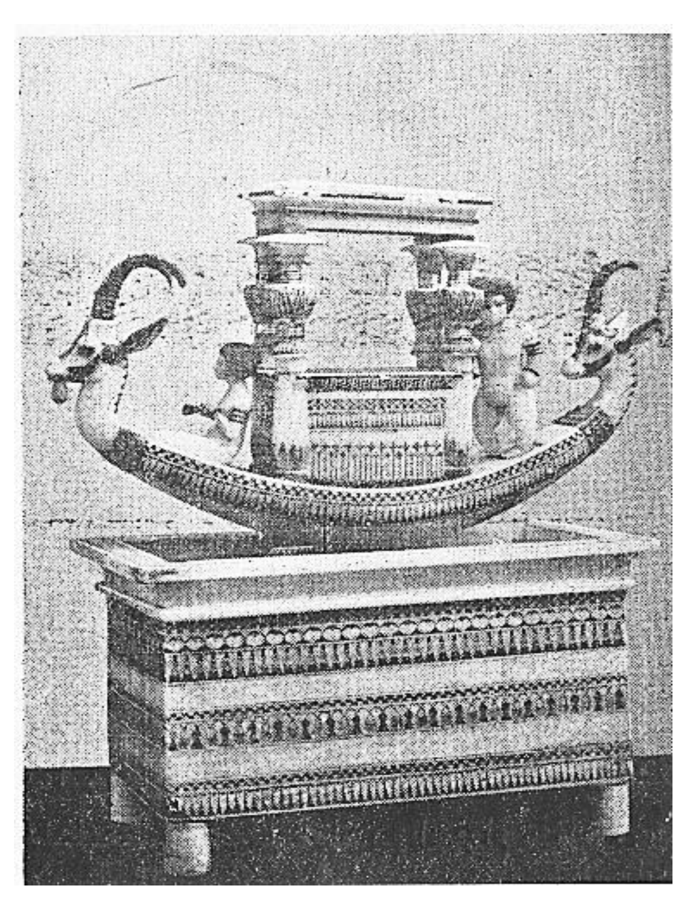
عيّن من يراقبه أثناء النوم ويلازمه في قمرته ويفتش عليه عشر مرات كل ليلة.

إن رغبة جلالتي في رؤية هذا القزم تفوق كل الهدايا التي أحضرتها معك من شبه جزيرة سيناء وبلاد بونت.. إن وصلت إلى البلاط ومعك القزم حيًا يرزق، وفي صحة جيدة فإن جلالتي ستكافئك بأكثر مما كوفئ به الوزير بوردد من الملك ايسيسي وذلك لرغبتنا في رؤية هذا القزم.

وقد أعطيت الأوامر لرؤساء المدن ولكبار الكهنة لمد كل ما يطلب منهم من معونة وتقديم كافة ما يلزم من الخزان والمعابد دون أي تأخير."

ومن بين الكنوز التي عثر عليه بمقبرة الملك توت عنخ آمون النموذج لسفينة من المرمر المصري نصف الشفاف وداخلها مقصورة تحرسها فتاة من الأقزام تضع فوق رأسها شعرًا مستعارًا.

ويلاحظ أن قدمي الفتاة مشوهتان ومقوستان بانحراف إلى الداخل وتمتاز هذه القطعة – مثل كافة آثار هذا الملك – بالدقة في الصناعة لا سيما رسم القزم فلا شك أن الفنان القديم قد وجه إليها اهتمامًا خاصًا حتى صاغ منها قطعة فنية رائعة لا سيما في إظهار العيوب الجسمية دون تشويه أو مبالغة.



فتاة من الأقزام تحرس مقصورة

ويلاحظ جمال الألوان وقرون الوعل الطبيعية إذ أنها انتزعت من حيوانات صغيرة وأضيفت إلى هذه القطعة.

أما القزم سنب وتمثاله أيضًا بالمتحف المصري فقد كان من طبقة الأشراف ويحمل لقب "رئيس أقزام الملابس الملكية" وقد تزوج من سيدة من أصل ملكي.

وقد عثر على تمثاله وبجانبه زوجته وطفلاه وأدوات جنائزية داخل

مقبرته بالجيزة وقد عاش منذ أكثر من ٤٥٠٠ سنة.

وقد سجل على عضادتي الباب الوهمي لمقبرته رسمه محمولاً على محفة عليها نصوص توضح مدى ثرائه إذ كان يملك ١٠،٠١٥ ثورًا و ١٠،٠٠٠ بقرة و ١٢،٠١٧ حمارًا و١٠،٣٠٠ أتان و١٢،٢٠٥ كبشًا و١٠،١٠٣ نعجة.

فإذا قدرنا ثروته بالقيم الحالية فإنه كان يعتبر في صفوف أصحاب الملايين.

وكان لرمسيس الثاني قزم أثير عنده.. كان نديمه وسميره في وقت راحته، كما كان ملازمه وحارسه الخاص في زمن الحرب لا يفارق عجلته الحربية كما أنه كان يعني بالأسود ويوجهها أثناء معارك القتال لتفتك بالأعداء الذين يخاطرون بأنفسهم بالاقتراب من عجلة الملك كما كان يشرف على الأسود في قصر فرعون في وقت السلم وهي تبث الرعب في قلوب أعداء الملك.



القزم سنب وعائلته

وقد عرف الأقزام بين الآلهة فالمعبود بس هو الذي يحمي الطفولة والأمهات عند الوضع، كان قزمًا أتى مصر من جنوب السودان على الأرجح وكثيرًا ما ترد رسومه على جدران وأعمدة المعابد المعروفة باسم "بيت الولادة" يعزف على آلة موسيقية أو يرقص.



المعبود بس قزم

من الجنوب

صناعة الفخار في قنا

إن صناعة الفخار في مصر من أقدم الصناعات، وقد مارسها المصريون القدماء منذ فجر التاريخ، وأقدم أنواع الفخار هي التي وجدت بالوجه القبلي في البدارى ودير تاسا وجرزة، قرب الفيوم.

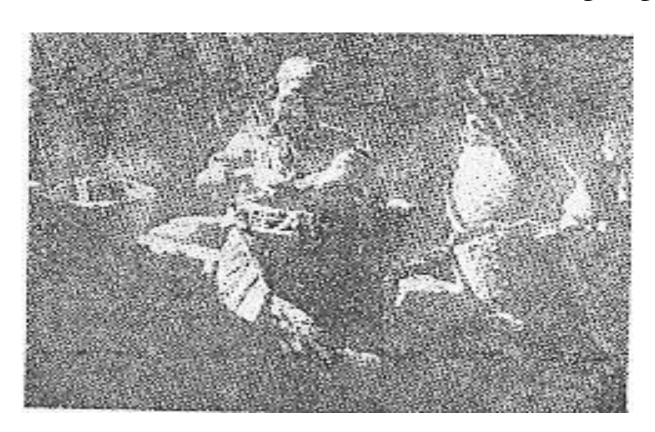
ويستطيع عالم الآثار أن يحدد تاريخ الفخار الذي يُعثر عليه في الأماكن المستكشفة، إذ كان القدماء يستعملون من الفخار الأواني المنزلية وأدوات الزينة وغيرها حتى الأواني التي كانت تستخدم في الطقوس الدينية وفي دفن الموتى – كذلك كانوا يضعون الأواني الفخارية مع المومياءات، وقد ملئت بأنواع الطعام والهدايا والقرابين.

وقد ورثت قنا صناعة الفخار عن الآباء والأجداد، وحافظت على تراثها حتى أصبحت أهم مرتكز صناعته في البلاد وقد عاونها على ذلك طبيعة تكوينها الجيولوجي إذ أحاطت بها من الناحية الشرقية جبال طفلية تسقط عليها السيول فتجرف هذه الطبقة الطفلية وتحملها معها إلى الوديان القريبة من المدينة.

هذه الطبقة الراسبة هي التي تمون مصانع الفخار في قنا وعددها بين الخمسين والستين وهي تنتج جميع أنواع الفخار، وأهمها القلل والأزيار.

والطريقة المتبعة في صناعة الفخار اليوم هي بعينها الطريقة التي كان

أجدادنا يمارسونها منذ آلاف السنين – وعلى جدران معبد إيزيس بجزيرة فيلة رُسم المعبود "خنوم" جالسًا على مقعد وأمامه دولاب يشكل عليه إنسانًا من طين.



المعبود خنوم



صانع فخار حديث بمدينة قنا يشكل إنسانًا من طين

والدولاب عبارة عن قرص مثبت على عامود من الخشب في أسفله قرص صغير يدار بالقدم، وما زال صانع الفخار يصنع أوانيه اليوم تمامًا كما كان المعبود "خنوم" يصنع الإنسان من الطين.

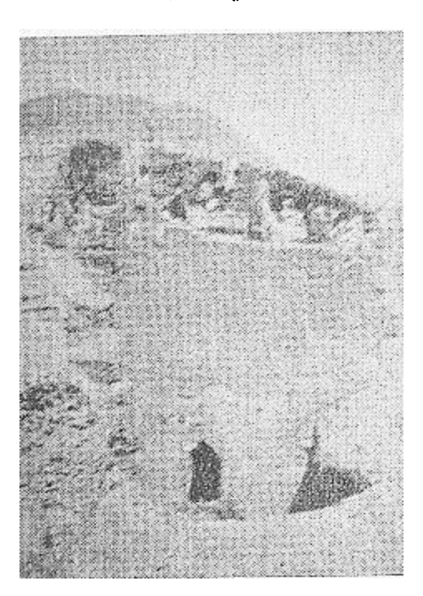
وبعد أن يتم صنع الآنية الفخارية تترك في العراء حتى تجف ثم تنقل

إلى الفرن لحرقها، والفرن عبارة عن مبنى مستدير من (الطوب الأحمر) له فتحة من أعلى. تصل إليها بوساطة درجات من السلم بنيت على جانب الفرن، وله فتحة في أسفله لتزويده بالوقود.

وتستمر عملية الحرق حوالي أسبوع وتكتسب القلة الصلابة، والمسام التي كلما كثرت كانت أقدر علتبريد المياه.

وعلى مرسى النيل بقا تشاهد دائمًا مراكبوضعت على جوانبها أقراص من (الليف) ترص عليها

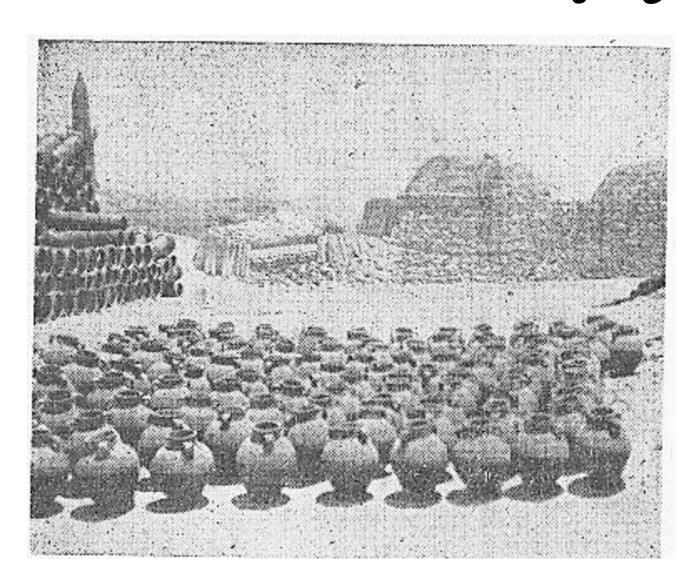
(القلل والأزيار والبلاليص) في نظام دقيق، وترتيب هندسي محكم.



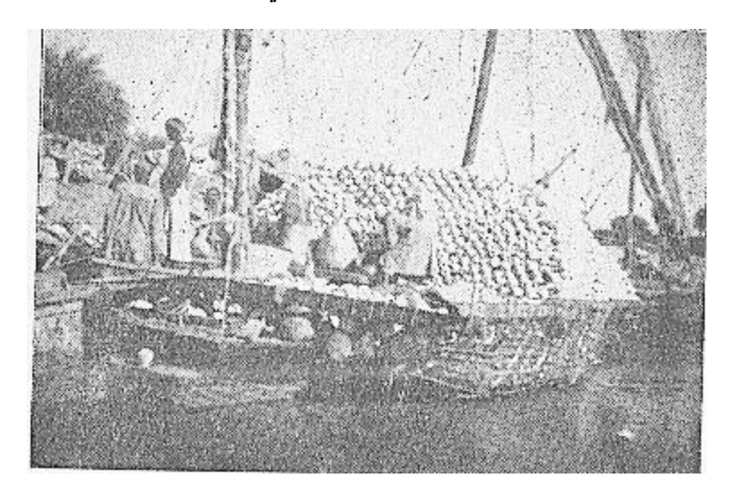
فرن لحرق الفخار في قنا

والذين يقومون بهذا العمل يتقاضون عليه أجرًا يتراوح بين الجنيهين والثلاثة في اليوم الواحد، ولكل منهم عدد من المساعدين لمعاونتهم،

وتتحرك المراكب بأحمالها إلى الجنوب أو إلى الشمال، حيث تشتد الحاجة إلى القلل.



تجفيف الفخار قبل حرقه في الأفران



ترتيب الفخار في المراكب يقوم به عمال فنيون

الأبراج الفلكية في معبد دندره

كان المصريون الأولون يطلقون على علم الفلك، علم السماء، وكانوا يعتقدون أن إله الحكمة هو الذي لقنه للكهنة وأنه اختص كهنة رع – المعبود الشمس – بالنصيب الأوفر. فمن ألقاب هؤلاء نجد أسماء "الكاهن الذي يقرأ وجه السماء" – الكاهن ذو البصر الحاد في قصر هليوبوليس الجنوبية أي "أرمنت" – "الكاهن ذو البصر الطويل المدى".

كما كان يطلق على الكهنة الفلكيين الملحقين بالمعابد لقب ملاحظي الليل.

والواقع أن مصر هي أولى بلاد العالم التي اهتمت بعلم الفلك، ودراسة حركات النجوم والكواكب. ويرجع الفضل في ذلك إلى صفاء السماء، لذلك لا غروا إذا كان المصريون قد أولوا علم الفلك مزيد عنايتهم حتى برعوا فيه منذ فجر التاريخ، لذلك دانت لهم أسراره وتفتحت مغاليقه واستنبطوا التقويم الذي نسير على نهجه إلى اليوم.

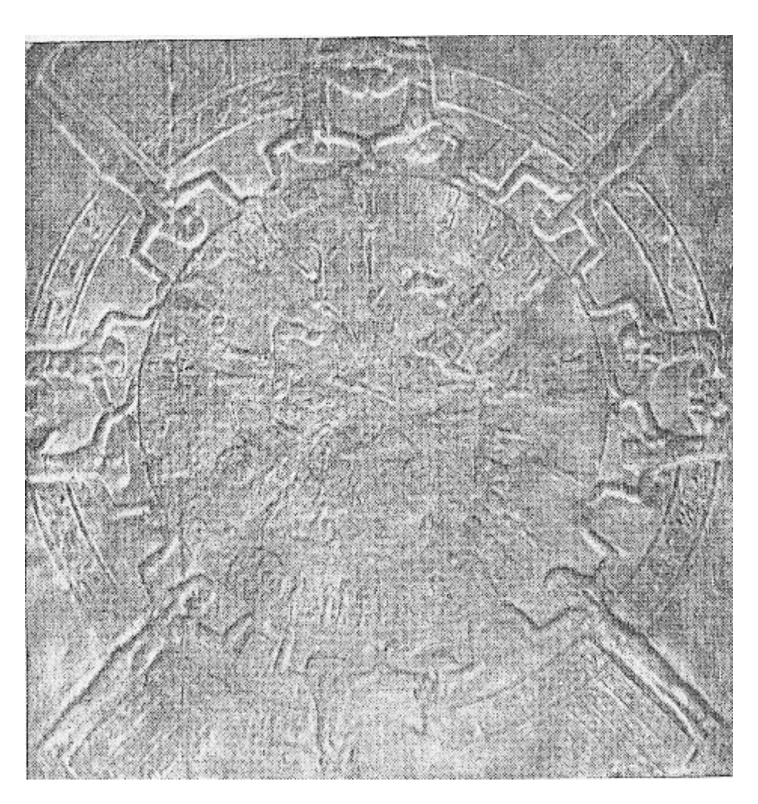
وقد نقل إلينا ديودور الصقلي عن المؤرخ المصري مانيتو أنه "لا يوجد قطر شوهدت فيه مواقع وحركات النجوم بالضبط، مثل القطر المصري، وقد احتفظ المصريون خلال عدد لا يحصى من السنين، بسجلات دونوا عليها مدى تحركاتها".

هذا.. ومن أهم النقوش التي زينت جدران المقابر الملكية ومقابر

الأشراف وسقوف المعابد الكبرى أشكال النجوم والكواكب تتلألأ في السماء وكثيرًا ما ترد رسومها مجسمة على هيئة أشكال آدمية أو حيوانية تسبح في الفضاء، يشاهد ذلك في المقابر الملكية بوادي الملوك بطيبة وفي مقابر الخاصة، وفي المعابد الكبرى وأهم هذه النقوش وأتقنها هي التي نقشت على معبد حاتحوربدندره في صعيد مصر، على بعد ٦٠ كيلو مترًا شمالي طيبة.. فقد حلي سقف الصالة الكبرى لهذا المعبد برسم السماء، بقسميها الشمالي والجنوبي والبروج الاثنى عشر التي تنتقل بينها الشمس على مدار السنة.

وقد قسم الرسم سبعة صفوف. ففي الصف الأول رسمت السماء على هيئة المعبودة نوت في وضعها المألوف أي وهي منحنية على أطرافها الأربعة يديها ورجليها وقد اتجه كل طرف صوب إحدى الجهات الأصلية. الشرق والغرب، والشمال، والجنوب، بينما يمثل بطنها قبة السماء، حيث رسمت عليه ستة أبراج فلكية على الترتيب الآتي:

الأسد والثعبان والميزان والعقرب والرامي والجدي



الأبراج الفلكية بمعبد دندره

وقد رسمت ثمانية عشر مركبًا تحمل ثماني عشرة "عشيرة" يمثل كل منهما عشرة أيام وهي في مجموعها تكون نصف السنة المصرية.

أما النصف الثاني فقد رسم في طرفيه شكل مجنح يمثل الهواء وساعات الليل الاثنتي عشرة.

وقد جمعت العشيرات في ست "ثلاثات" وكل مجموعة من العشيرات تكون شهرًا وبما أن عددها ست فيكون مجموع نصف السنة ١٨٠ يومًا.

أما في الصف الثالث فقد رسم القمر تمثله العين السليمة "أوجات" كما يظهر أوزيريس في شكل إله القمر سابحًا في فضاء السماء مع أوزيريس في هيئتهما المعروفة ومعهما المعبودة "نفتيس".

وفي الصف الأوسط – الرابع – رسمت الصقور المصرية وأقراص الشمس المجنحة.

وفي الصف الخامس رسمت ساعات النهار الاثنتا عشرة ممثلة على شكل مراكب داخلها قرص الشمس ورسوم الآلهة التي تنتمي إليها كل ساعة.

وفي الصف السادس رسمت الرياح المجنحة وأشكال فلكية متعددة.

وفي الصف السابع والأخير رسمت المعبودة نوت إلهة السماء، بينما تتجه أشعة الشمس إلى الركن الشمالي في معبد حاتحور حيث تظهر الأبراج الستة الجنوبية وهي:

السرطان والتوأمان والثور والحمل والأسمال والدلو.

وإذا ما تركنا جانبا البهو الكبير بالمعبد واخترقنا أبهاءه ودهاليزه ثم اتجهنا إلى اليمين وصعدنا درجات السلم التي تؤدي إلى سطح المعبد، متتبعين طريق موكب الشمس وصلنا إلى معبد الأوزريون أو معبد الفلك وهو معبد صغير مكون من بهو خارجي غير مسقوف وبهو داخلي مسقوف فالهيكل.

وعلى سقف البهو الداخلي رسمت البروج الفلكية – وقد اسوّد شكلها وذلك من كثرة ذرات الفحم – الكربون – المتخلف من الشموع والمشاعل التي كان يحملها زوّار هذه التحفة على مر الزمان.

وتحفة البروج الفلكية هذه، هي وحيدة في نوعها فقد رسم المصريون القدماء السماء ومناطق البروج الفلكية إما مربعة الشكل وإما مستطيلة ولكنها لم ترسم بشكل دائري إلا في معبد دندره فقط. ونقوش هذه التحفة بارزة على حجر رملي يحيط بها إطار ويحملها أربع معبودات تمثل الجهات الأصلية وثمانية أشكال للمعبود هورس على هيئة جسم إنسان ورأس باشق وهو الصقر المصري وقد اجتمع كل اثنين منهما معًا.

وقصة نقل هذه التحفة إلى باريس، طريفة تستحق التسجيل، ففي عام ١٧٩٨ أتى نابليون إلى مصر على رأس حملة عسكرية غزت البلاد، وكان يصاحب الحملة عدد من العلماء الأفذاذ.

كان يحكم مصر في ذلك الوقت المماليك وأميرهم مراد بك وفي ٢١ يوليو ١٧٩٨ دارت معركة الأهرام بين الفرنسيين والمماليك وانتهت بفرار الأخيرين إلى الجنوب فتبعتهم قوات الفرنسيين وعلى رأسهم الجنرال ديزييه.

وفي ٢٤ يناير سنة ١٧٩٩ أي بعد نحو ستة أشهر من معركة الأهرام – وصلت قوات ديزييه إلى معبد دندره وزار بعض أفراد هذه القوات أبهاء المعبد حيث استرعت تحفة البروج الفلكية أنظار أحدهم وهو فيفيان دينو وكلف بعض الرسامين المرافقين برسمها.

وعند عودته إلى القاهرة عرض هذا الرسم على العلماء المرافقين للحملة في مصر فاختلفت آراؤهم في صدد هذه التحفة فمنهم من قال أنها تحوي سر أصل الجنس البشري وتاريخ الخليقة.

ولم يحل بينهم وبين نقلها معهم إلا تغيّر الظروف وسرعة تركهم البلاد، ولكنهم رغم ذلك لم ينسوا هذه التحفة فأوفدوا عام ١٨٢٠ لي لوران موفدًا من قبل سولينير.

وكان لي لوران يحمل معه خطاب توصية من وزير خارجية فرنسا المسيوباسكيه إلى المسيودروفتي قنصل فرنسا بإسكندرية يطلب فيه تسهيل مأمورية لي لوران ومعاونته، وتنفيذًا لهذا يمده القنصل الفرنسي بالعمال والمناشير والعتلات الحديدية والحبال ومختلف أدوات نشر الأحجار ونزعها، كما استأجر له مركبًا "وريسًا" من أهالي الإسكندرية.

وفي القاهرة قدم القنصل دروفتي لي لوران إلى باغوص بك كبير مترجمي محمد علي باشا والي مصر فسهل له هذا سبيل الحصول على تصريح يخول له حق السفر وزيارة آثار الصعيد.

وعندما توجه لي لوران إلى دندره بعث معه مترجمًا يرافقه وكذا بعض حرس الوالي.

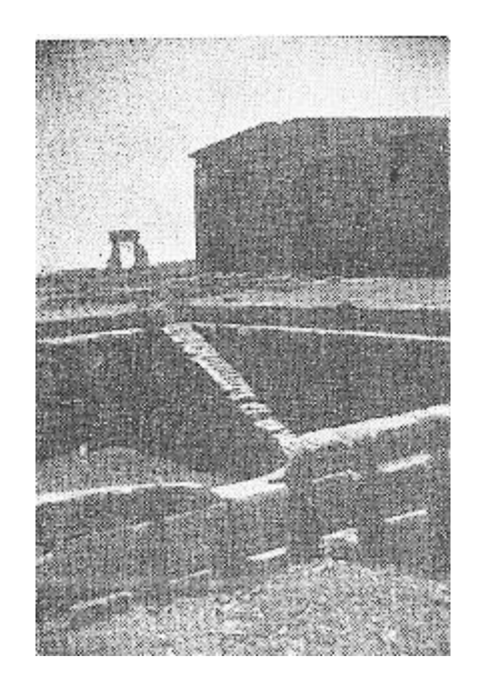
وقد اشتم الخبر المستر سولت القنصل الإنجليزي وأوجس شرًا، فأرسل بعض رجاله من الإنجليز خلف الفرنسي ولحقوه قرب مدينة بني سويف واعترضوا طريقه، وسألوه عن حقيقة مأموريته ونواياه، فأفهمهم أنه في طريقه إلى ساحل البحر الأحمر بحثًا عن المرجان.

وهكذا عرف الفرنسي كيف يضللهم، وتخلص منهم.

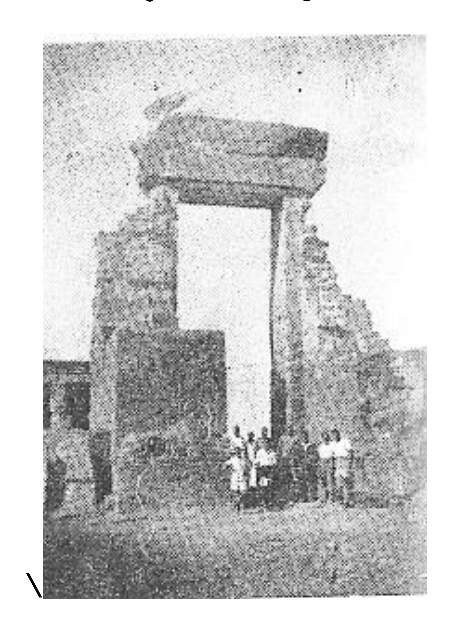
والواقع أن أغراض الثلاثة وهم القنصل الفرنسي والقنصل الإنجليزي ولي لوران كانت تتجه صوب الحصول على تحفة الأبراج الفلكية، أما القنصل الفرنسي فقد خضع لأوامر وزير خارجية فرنسا وامتثل لرغبته، وأما القنصل الإنجليزي فقد حاول أن يمنع الفرنسي ويحول بينه وبين تنفيذ مأربه.

ولكن هذا الفرنسي كان أمكر منه وأدهى.

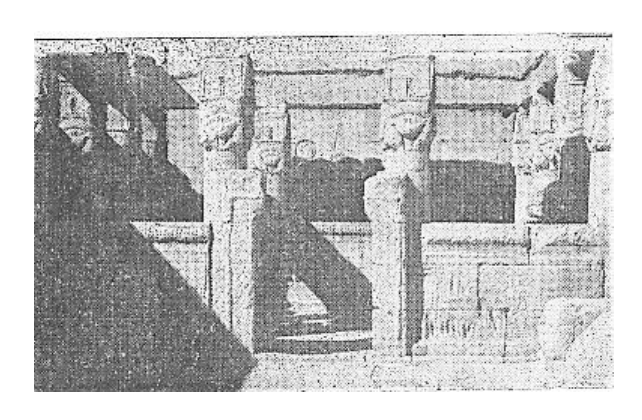
في ١٨ أبريل سنة ١٨٣١ وصل لي لورين ومن معه إلى دندره، واستأجر عمالاً محليين بالإضافة إلى من كانوا معه، واشتغلوا نحو أسبوعين في نزع سقف معبد أوزيريس الذي يحوي الأبراج الفلكية، ولما شاهد الأهالي ما يفعله عمال لي لورين تنبهوا إلى الخطر المحدق بآثارهم فاعترضوه ورفض العمال التعاون معه أيضًا، ولكنه استطاع بفضل سعة الحيلة أن يدخل في روعهم أنه يفعل ذلك حتى يسهل عليه دراسة النقوش ورسمها، فحسب.



واجهة معبد دندره



داخل معبد دندره



داخل معبد دندره

ثم شاهده الأهالي يكسر سور المعبد الكبير المجاور لمعبد أوزيريس ويسقط منه اللوحة، فثاروا من جديد.

ولكنه اصطنع معهم الحيلة أيضًا، كذلك امتنع الريس السكندري عن نقلها إلى مركبه وشحنها فيه، فلما حاول رجال لي لوران أن ينقلوها عنوة استطاع الريس إسقاط اللوحة في نهر النيل وكان غرضه كما هو واضح أن يتمكن من إعادتها إلى مكانها في الوقت المناسب ليحول على الأقل دون نقلها.

وعندئذ دب اليأس في قلب الفرنسي وأوشك على تركها ولكنه جرب أخيرًا بريق الذهب وإغراءه في النفوس الضعيفة.

وهكذا نجح في إخراج التحفة من باطن النهر وشحنها في المركب والاتجاه بها صوب العاصمة مع تيار النيل، ثم بعدئذ إلى البحر الأبيض المتوسط حتى وصل أخيرًا إلى فرنسا في ٩ سبتمبر سنة ١٨٣١

وهكذا انتقلت تحفة البروج الفلكية من مكانها بمعبد دندره إلى

باريس حيث عرضت على الأهالي في معارض خاصة أقيمت لهذا الغرض – وقد قابلها العلماء باستقبال حافل وأثارت مساجلات علمية بين الهيئات والجمعيات كل لها صداها عند رجال المجمع العلمي في مصر، إذ أثارت في أهميتها وفي مدى دلالتها على تاريخ ظهور الإنسان.

وقد نشر العلماء الفرنسيون أبحاثهم في كتاب "وصف مصر"، كما نشر المجمع العلمي بحثًا مستقلاً في المجلة التي يصدرها بتاريخ ١٨ أغسطس سنة ١٨٣٢

وأخيرًا أمر الملك لويس الثامن عشر بشرائها بمبلغ ١٥٠،٠٠٠ فرنك ذهبًا، ومنذ ذلك الوقت وضعت في متحف اللوفر ثم أرسلت فيما بعد إلى المكتبة الأهلية ثم أعيدت إلى متحف اللوفر حيث وضعت بين مجموعات الآثار المصرية.

وبذلك غمرت وفقدت قيمتها، فليس هذا مكانها.

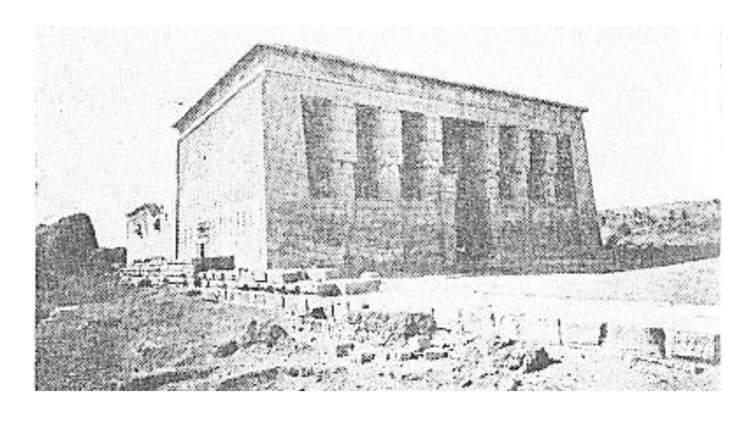
والواقع أن سطح معبد دندره الفسيح وسفح الجبل المنبسط حول المعبد وسلسلة الجبال المحيطة به ولوحة السماء الصافية ونجومها اللامعة المتلألئة في ليالي الصيف الدائم في هذه المنطقة، لوحة فريدة في نوعها أبدع الرسام في رسم معالمها ومزج ألوانها حتى غدت من أروع المناظر الطبيعية في العالم.

وأما المعبد نفسه بهندسته المعمارية ونقوشه إلا صورة صغيرة مجسمة للسماء، وما لوحة البروج الفلكية إلا القطعة الفنية الوحيدة التي تجمل هذا التآلف الروحي.

لذلك حاول الكثيرون من صفوة المصريين ومن علماء الآثار المصرية والمهتمين بشئونها من مختلف الجنسيات، تصحيح هذا الوضع وإعادة التآلف الفني إلى هذه الأنشودة فاتصلوا بولاة الأمور في فرنسا لتوضيح هذه الحقيقة وتفهيمهم أن إعادة لوحة البروج الفلكية إلى مكانها بمعبد دندره هو الوضع الصحيح وليس مكانها في متحف بين مجموعات الآثار.

وقد استجاب لهذه الرغبة ولاة الأمور في فرنسا ووافقوا على إعادتها إلى مكانها مقدرين الأهمية التي تسدي إلى الفن بإعادة هذا الأثر الهام إلى موضعه بعد أن اقتنعوا تمامًا بأن لا قيمة لهذا الأثر بدون النقوش التي تحيط به والمناظر التي تكمله والبيئة التي هيئت له، وذلك بطريق الإعارة الطويلة المدة التي تتجدد من تلقاء نفسها.

فإن صدقت نية فرنسا في إعادة تحفة البروج الفلكية فإنها بذلك تخطو خطوة طيبة في سبيل توطيد العلاقات الحسنة التي تربط بين البلدين.



منظر عام لمعبد دندره

محاجر الجرانيت في أسوان

توجد أحجار الجرانيت بمختلف أنواعها وألوانها في أسوان. وتمتاز هذه الأحجار بجمال اللون وشدة الصلابة وحسن القابلية للانصقال والتشكيل طوع رغبة الصانع. وقد استرعت هذه الخواص انتباه قدماء المصريين لذلك استغلوا هذه الأحجار في صناعة المسلات العظيمة والتوابيت الكبيرة الحجم والتماثيل الفخمة والأعمدة وأحجار التكسية للمعابد والأهرام، كما استعمل حديثًا في بناء الخزانات والقناطر وتقويتها في أسوان وأسنا ونجع حمادي وقناطر محمد علي وادفينا وفي رصف الطرق وتكسية أسفل حوائط المباني الهامة وإقامة النصب التذكارية وغيرها.

وأحجار الجرانيت من الناحية الجيولوجية عبارة عن صخور نارية تكونت في جوف الأرض من مجموع حبيبات أحجار ومعادن مثل الميكا والكوارتز والأرثوكلازوالفلسبار وأكسيد الحديد انصهرت بفعل الحرارة الجوفية.

وعلى نوع الأكسيد الذي انصهر وامتزج مع هذه الحبيبات يتوقف لون الحجر فإن كان لون الأكسيد أحمر أكسبه الجرانيت اللون الأحمر وهكذا.

كما يتوقف نوع الجرانيت ونعومته على حبيبات الأحجار المكونة

منها، فيكون ناعمًا إذا كان دقيق الحبيبات وسبب هذا أن حبيبات المعادن المكون منها قد تصلبت في أثناء تكوينه على السطح العلوي للأرض فتصلب بسرعة فنعمت حبيبات الحجر.

ويكون متوسط النعومة إذا كانت حبيباته متوسطة أي تصلبت تحت سطح القشرة الأرضية أي في حرارة متوسطة.

ويكون الحجر خشنًا إذا تكون من حبيبات أكبر حجمًا أي تصلبت ببطء قريبًا من سطح الأرض فنمت الحبيبات نموًا كافيًا قبل أن تصلبها.

يقول علماء طبقات الأرض – الجيولوجيون – أن الجرانيت هو أساس القارات كما أنه نواة سلاسل الجبال العظيمة في العالم.

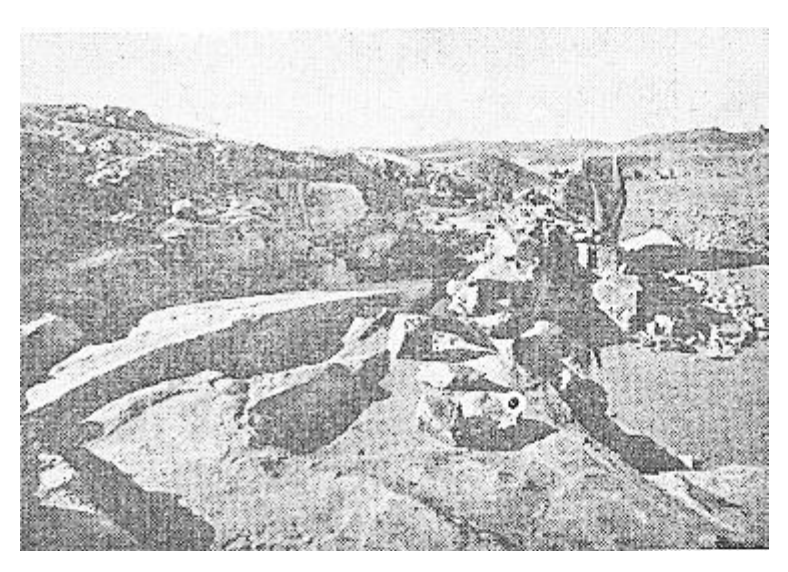
ويرجع الفضل في ظهوره على سطح الأرض إلى تحركات القشرة الأرضية وتقلصاتها التي تظهر على شكل زلازل أو براكين تقذف من باطن الأرض حممًا منصهرًا، يجف ويصبح حجرًا ناريًا في قوام الزجاج ونعومته.

وقد تعرضت أسوان في عصور جيولوجية مضت للزلازل.

ويرجع وجود الجرانيت فيها إلى هذه الظاهرة. وقد اعترضت بعض هذه الأحجار مجرى النهر فكونت ما يعرف بالجنادل (ويسمى خطأ شلال).

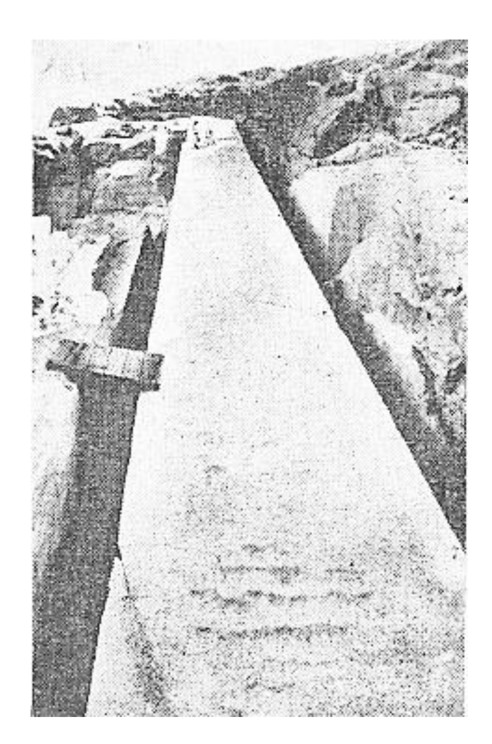
ومحاجر الجرانيت قريبة من المدينة، فإلى الشرق تقع محاجر المسلة وسميت بذلك بالنسبة لوجود مسلة أسوان التي لم يتم قطعها بعد

أن أوشك العمل فيها أن يتم، فبعد أن تم نحت سطحها العلوي ومعظم جوانبها أظهرت فيها عيوب فنية إذ انشق وسطها أثناء العمل فتركوها مكانها مقصدًا للسائحين وميدانًا للدراسة لعلم الأجداد والعام أجمع كيف كان قدماء المصريين ينحتون مسلاتهم ومقدار ما يبذلون من جهد في سبيل المسلات التي تزين المعابد وتفخر بها الآن أعظم مدن العالم مثل نيويورك ولندن وباريس وروما.



محجر مسلة أسوان

ويقرب طول مسلة أسوان من ٤٢ مترًا وعرضها عند القاعدة أربعة أمتار تقريبًا ويبلغ وزنها نحو ١،٢٠٠ طنًا حسب أبعادها الحالية.



مسلة أسوان كاد العمل فيها أن يتم

وكانت تنقل هذه المسلات من محاجرها بعد أن يتم نحتها وتهذيبها وصقلها إلى المعابد في طيبة أو منف أو غيرها من العواصم المصرية على طرق ممهدة من المحجر إلى مرسى النيل حيث أعدت مراكب شراعية كبيرة تشبه الصنادل وقد تتكون المركب الواحدة من عدة طبقات.

ويمكن حاليًا تتبع معالم الطريق القديم بوضوح تام بين محجر مسلة أسوان وبين نهر النيل، ويسلكه الآن زوار المسلة.

وقد ترك لنا قدماء المصريين على المحاجر القديمة آثار العمل ومنها استطعنا معرفة خطوات العمل.



أثر العمل القديم في محاجر الجرانيت

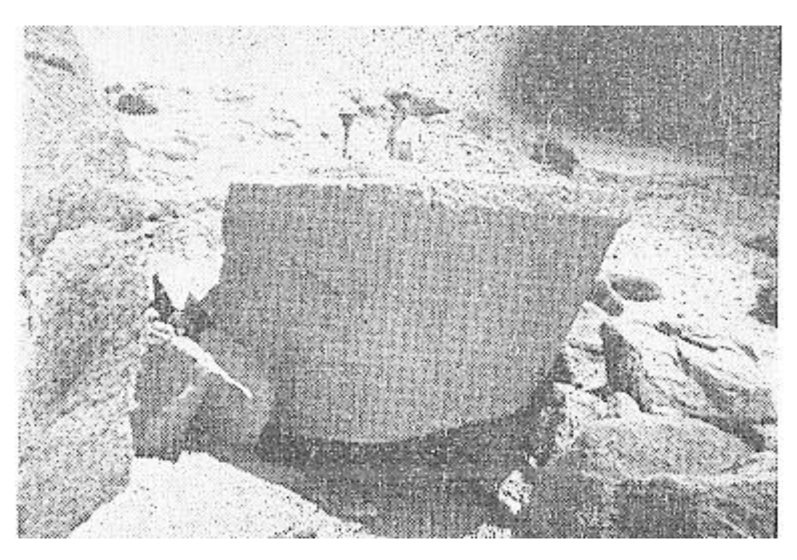
فكانوا يستخدمون الفواصل الطبيعية للأحجار حتى يمكنهم الحصول على ما يرغبون دون عناء.

ثم كانوا يرسمون خطًا يحدد أبعاد الحجر المطلوب، ثم يعمقونه قليلاً ويعملون فيه حفرًا على أبعاد متساوية يضعون فيها أوتادًا صغيرة من الخشب ثم يبللونها بالمياه فتتمدد وينشق الحجر.

وبدلاً من الأوتاد الخشبية كانوا يدقون مسامير من مخلوط النحاس والزنك أو الحديد ويدقونها دقًا متواصلاً حتى ينفلق الحجر.

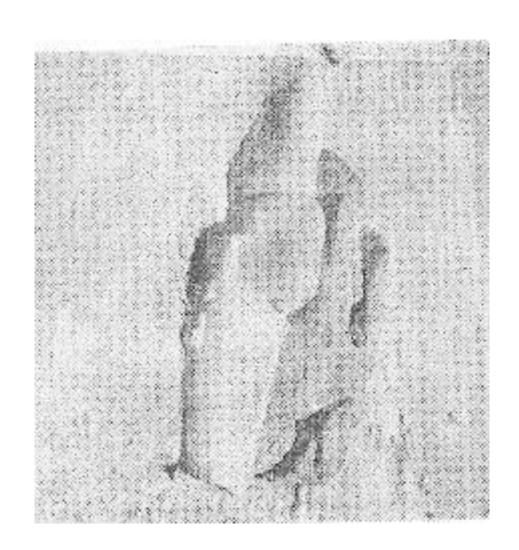
وكانوا يستعملون كذلك تفتيت الحجر بوساطة توالي الحرارة والبرودة ثم طرق الحجر بكتلة مستديرة من حجر الديوريت أو غيرها من الأحجار النارية الشديدة الصلابة. وقد عثر على الكثير من هذه الكتل في محاجر الجرانيت القديمة.

وهكذا لم يقف قدماء المصريين مكتوفي الأيدي أمام صلابة حجر الجرانيت وقوته بل استطاعوا بفضل ما لديهم من قوة الحيلة العزيمة القوية مع القليل من المعدات والآلات أن ينحتوا ويشكلوا في سهولة ويسر ما شاءوا من الأعمال الضخمة كالمسلات والتماثيل الكبرى إلى القطع الصغيرة الدقيقة الصنع.



تابوت لم يتم العمل فيه متروك بمحجره قرب الشلال

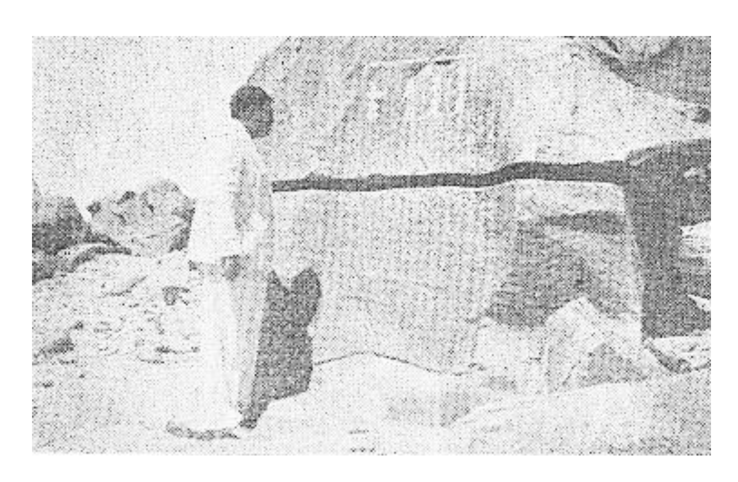
وقد تركوا نصوصًا هامة على هذه المحاجر ولا سيما في محاجر جزيرة سهيل حيث يوجد نص عن مجاعة حدثت بسبب عدم فيضان النيل ونصوص تاريخية هامة تعد بالمئات.



تمثال للمعبود أوزيريس لم يتم العمل فيه بعد ولا يزال مكانه بمحجر الشلال قرب أسوان

وتركوا كذلك تماثيل عظيمة وتوابيت لا تزال في مكانها ولم يبق عليها إلا الخطوات النهائية للعمل. ومن هذه تمثال لأوزيريس في محاجر الشلال يزيد طوله على ستة أمتار وكذلك توابيت ضخمة ترجع إلى عصر البطالمة والرومان.

وفي محجر قريب للمسلة نص للملك أمنوفيس الثالث، ويعرف هذا المحجر باسم محجر ضريح سعد زغلول وكان يسمى قديمًا محجر "السلخانة" وذلك لقربه من سلخانة المدينة وهو يفضل محجر المسلة إذ أن حبيباته أدق وأكثر جمالاً، لذلك أخذت منه أحجار الجرانيت اللازمة للضريح.. ولون أحجاره أحمر وردي فاتح.



نص "المجاعة" بمحجر جزيرة سهيل

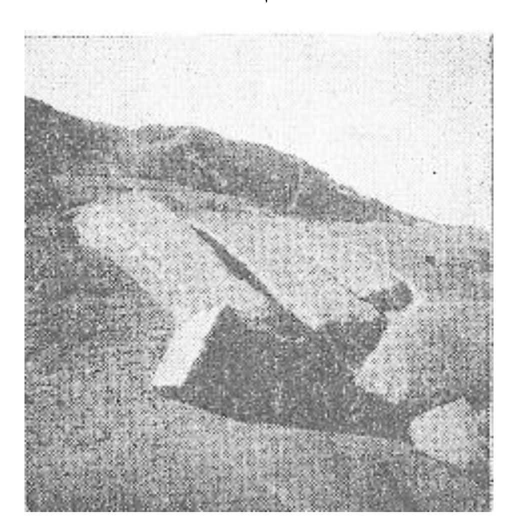
وقبلي محجر المسلة ببضعة كيلومترات محجر الجرانيت الأسود وهو في الطريق المؤدي بين المسلة والخزان.

ونوعه أسود فاتح به حبيبات بيضاء متوسطة الحجم.

وقد أخذت منه أيضًا الأحجار اللازمة لضريح سعد زغلول. ولم يبق من هذا المحجر إلا القليل إذ أوشكت أحجاره أن تنفد. وفي منطقة الشلال أكبر محاجر الجرانيت، ولونها أحمر وردي فاتح تتخلله حبيبات سوداء، ولامتداد هذه المحاجر أعطيت لها أرقام تبدأ من ١ إلى ١٥ وقد استغلها قدماء المصريين على نطاق واسع واستخدموا أحجارها في بناء الآثار الهامة كالتماثيل والتوابيت الضخمة التي عثر عليها داخل السرابيوم في سقارة.

ولا تخلو الجزر التي في وسط النهر في أسوان من محاجر الجرانيت، وتمتاز هذه المحاجر بسهولة المواصلات النهرية.

وأهم هذه المحاجر في جزيرة سلوجه ولون الحجر أحمر فاقع وسنجابي وبه حبيبات صغيرة الحجم سوداء اللون.



محاجر الجرانيت في سهيل

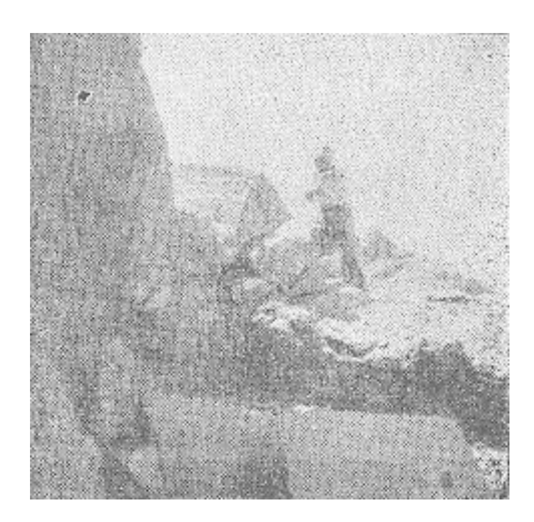
أحجار قطعت من آلاف السنين

وقد استغل المحجر حتى نفد التل الذي كان علامة مميزة لجزيرة سلوجة فيما مضى.

وتمتاز جزيرة سلوجة بجمال المناظر الطبيعية، وعند الحافة القبلية للجزيرة وهي تسقط رأسية في مياه النهر منظر أخّاذ كثيرًا ما يرتاده الأهالي للتمتع بمشاهدته لا سيما في وقت الغروب.

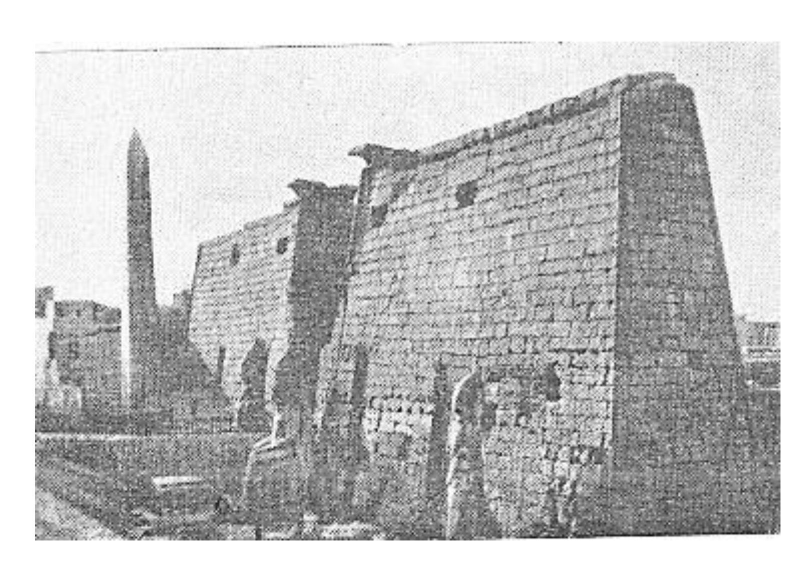
وبجوار سلوجه جزيرة سهيل وأحجارها من الجرانيت الأشهب الدقيق الحبيبات وقد استغل أخيرًا في إمداد مشروعات الري الكبرى بالأحجار مثل قناطر نجع حمادي وخزان إسنا.

وقد كادت يد التخريب تلحق الأحجار التي تحوي النصوص الهامة المسطورة على جدران هذه المحاجر القديمة ممثلة في الشركات الأجنبية الواسعة النفوذ وفي معاول الحجارين وألغامهم الناسفة لولا عناية الله، وهكذا أبعدت عنها يد التخريب وبقيت هذه النصوص محفوظة مصونة.



لا تزال وسائل كسر الأحجار القديمة تستعمل حتى اليوم في محاجر الجرانيت في أسوان

المسلات



معبد آمون بالأقصر وأمامه المسلة التي أقامها رمسيس الثاني

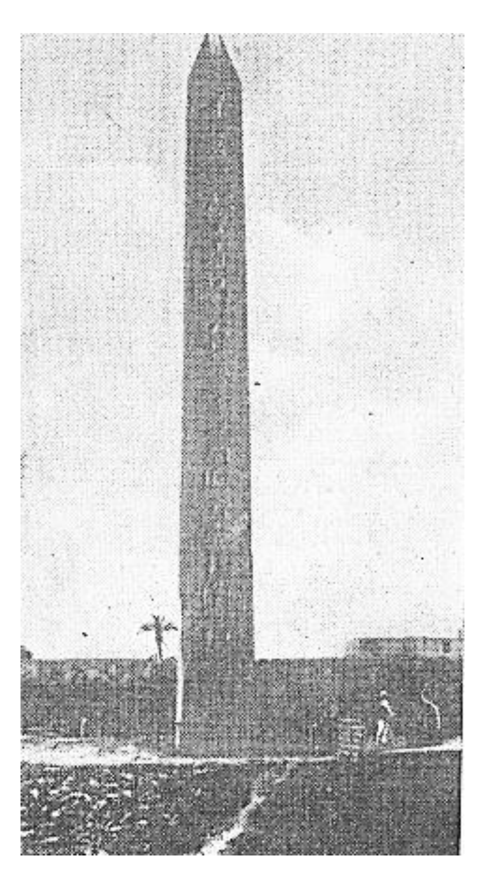
المسلة هي ظاهرة انفردت بها مصر ولا مثل لها في حضارة أية أمة أخرى، وهي قائم حجري شاهق الارتفاع يتكون من قطعة واحدة ذو قاعدة مربعة تمتد جوانبه إلى أعلى حتى ينتهي ارتفاعه بشكل هرمي وكان يغطى عادة بصفائح من الذهب المصقول الممزوج بالفضة ليصبح شديد اللمعان، حتى يتلقى أشعة الشمس منذ بدء شروقها حتى نهاية غروبها فترتفع في معابد الشمس ابتهالات كهنة رع وأتباعهم في العقيدة وهم يؤدون فروضهم الدينية لمعبودهم العظيم.

فالغرض الرئيسي الذي كانت تقام من أجله المسلة هو غرض ديني.

والمسلة في نفس الوقت نصب تذكاري لا يقوى على إقامته إلا

الفراعنة الأقوياء.

والمألوف أن تسجل على كل مسلة المناسبة التي شيدت لأجلها وأن ينقش عليها أسماء مشيدها وألقابه.



مسلة عين شمس

وتعتبر مسلة عين شمس من أقدم المسلات الكبرى عهدًا إذ أقامها الملك سنوسرت الأول أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة، في القرن العشرين قبل الميلاد في مدينة أون "عين شمس" وطولها ٢٠،٤٢ مترًا وتزن أكثر من ١٢٠ طنًا وهي لا تزال في موضعها حيث أقيمت مع

مسلة أخرى مماثلة أمام مدخل معبد الشمس الكبير وكان اسمه "المعبد الأبدي" ولم يبق منه شيء إذ ضاعت معالمه تمامًا.

وقد سجل الملك سنوسرت على جانب المسلة بالكتابة الهيروغليفية ألقابه الملكية ثم دعاءه للآلهة إلى أن قال:

"شيد سنوسرت هذه المسلة في اليوم الأول من عيد اليوبيل "عيد سد" وهو مرور ثلاثين سنة من اعتلائه العرش."

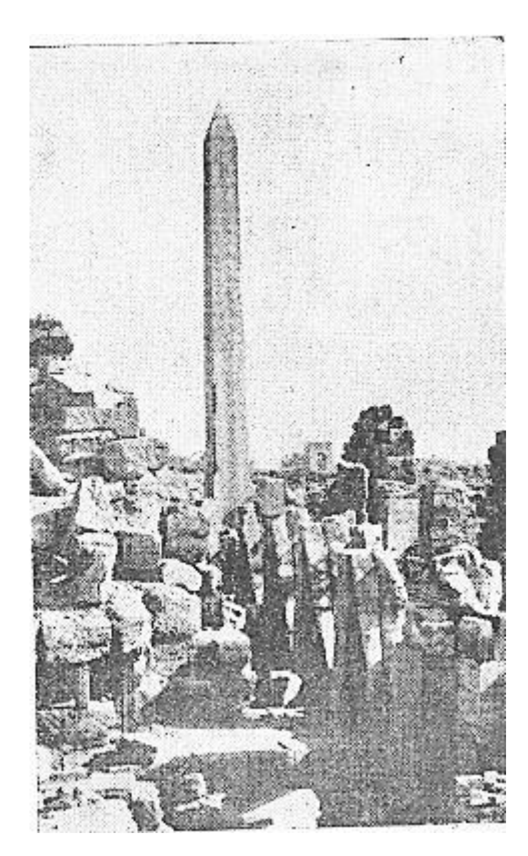
المسلات التي في الخارج

نقلت معظم المسلات من أماكنها في المعابد إلى خارج مصر ولم يبق منها إلا عدد محدود يعد على أصابع اليد الواحدة، نذكر منها ثلاثًا في معابد الكرنك أطولها مسلة حتشبسوت ونقشت عليها نصًا يبين أنها أتمت استغلال المسلة وقطعها ونقشها وصقلها وإقامتها في خلال سبعة أشهر فقط.

وقد وقعت إحدى هذه المسلات على الأرض نتيجة للزلازل التي اجتاحت المكان ولا تزال في مكانها بالقرب من البحيرة المقدسة، وتمتاز بأنها ذات رنين معدني.

ومسلة الأقصر تواجه معبد آمون الكبير بجوار تمثال رمسيس الثاني الذي شيدها، أما المسلة المماثلة فقد نقلها الفرنسيون عام ١٨٣١ إلى باريس وأقاموها في ميدان الكونكورد في نفس الوقت الذي نقلوا فيه الكثير من الآثار المصرية الأخرى.

وقد كان في معابد الكرنك – في وقت ما – ثلاث عشرة مسلة أقام معظمها الفراعنة الأقوياء في عصر الإمبراطورية الأولى حوالي القرن الخامس عشر قبل الميلاد.



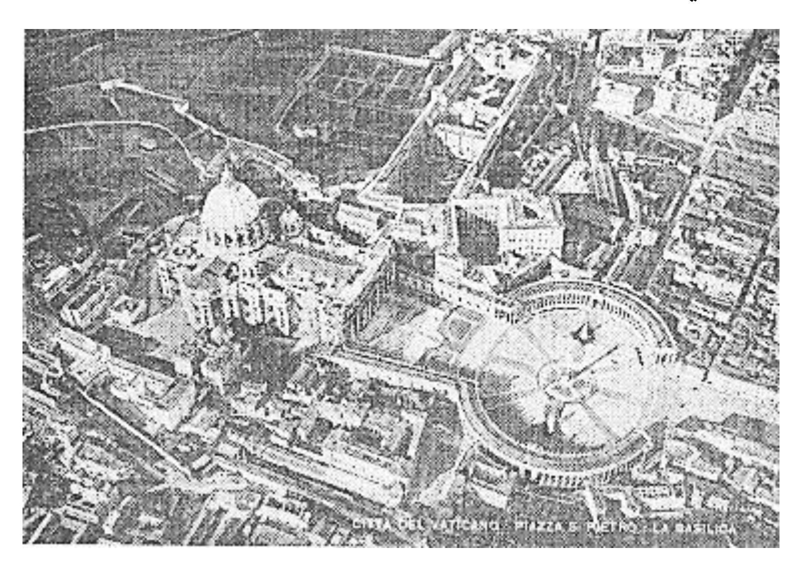
المسلة التي أقامتها الملكة حتشبسوت في معبد الكرنك

أما المسلات التي في الخارج فيزيد عددها على العشرين – وفي روما وحدها ١٣ مسلة وفي استامبول مسلتان وفي كل من لندن ونيويورك وباريس مسلة واحدة.

وكان الأشوريون والفرس أول من اغتصب المسلات الكبرى ثم تلاهم الرومان على نطاق واسع، وقد ورد في النصوص المصرية القديمة:

"إن هؤلاء المغتصبين قد استولوا على تماثيل الآلهة ونقلوها إلى بلادهم وذلك جهلاً منهم بقوة المعبود رع"

وعندما غزا المصريون بلادهم فيما بعد أعادوا هذه الآثار إلى المعابد التي أخذت منها وسجلوا ذلك على جدرانها فرحين.



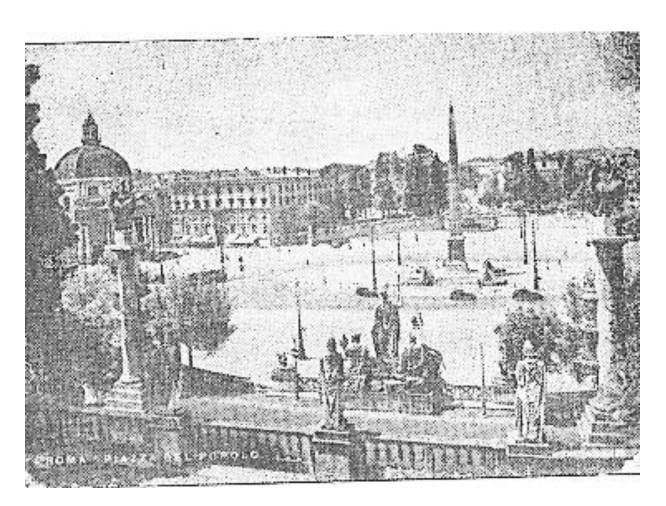
المسلة المصرية تتوسط ميدان القديس بطرس ومدينة الفاتيكان بروما

على أن المسلات المصرية التي أخذت إلى الخارج قد نصبت في أفخم الميادين ففي روما نصبت مسلة في ميدان القديس بطرس وهي تواجه الفاتيكان وأمام قصر الكرينال الملكي تتوسط الميدان مسلة شامخة. وفي ميدان اللاتران مسلة فارعة كان الملك تحتمس الثالث قد أقامها في الكرنك تخليدًا لذكرى مرور العام الثاني والخمسين على جلوسه على العرش ثم نقلها الإمبراطور قسطنطين إلى روما في منتصف القرن الرابع الميلادي.

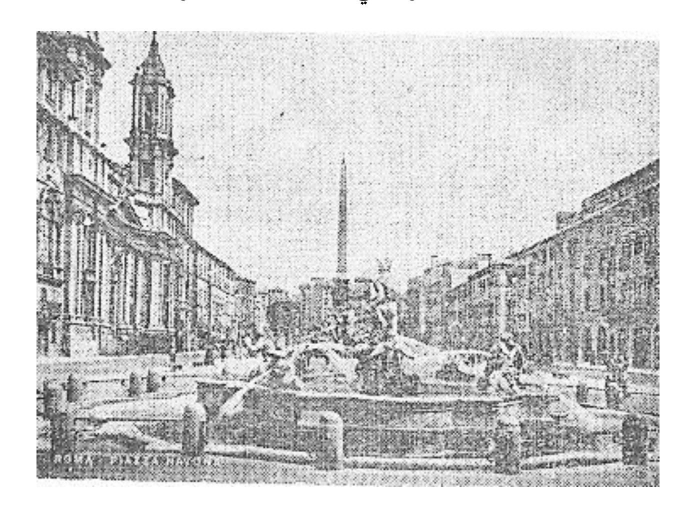
وقد تداعت إلى السقوط فرممها البابا سكستوس الخامس في القرن السادس عشر الميلادي وأقامها في مكانها الحالي بعد أن زوّد

قمتها بعلامة الصليب.

أما مسلة أستانبول فقد شيدها تحتمس الثالث في الكرنك تخليدًا لانتصاره في بلاد نهرين ثم نقلها الإمبراطور ثيودوسيوس إلى القسطنطينية عاصمة مملكته؛ الإمبراطورية الرومانية الشرقية المقدسة.



المسلة المصرية في ميدان الشعب بروما



إحدى المسلات المصرية في ميدان نافونا بروما

أما مسلتا لندن ونيويورك فقد أقامهما الملك تحتمس الثالث لمعبد الشمس في هليوبوليس ثم نقلها الحاكم الروماني في عام ٢٣ قبل الميلاد إلى الإسكندرية وبقيتا هناك إلى أن نقلت إحداهما في سنة ١٨٧٧ إلى لندن ونصبت على نهر التيمز ونقلت الثانية إلى نيويورك حيث نصبت في ميدان سنترال بارك.

المسلة المصرية في ميدان الكونكورد بباريس

تزين ميدان الكونكورد أجمل ميادين العاصمة الفرنسية – مسلة مصرية شاهقة الارتفاع أقيمت وسط منتزهات جميلة أبدع تنسيقها بالأزهار والنافورات والتماثيل الجميلة.

واختيار ميدان الكونكورد لإقامة هذه المسلة يرجع إلى رأي الملك لويس فيليب الشخصي إذ رأى أن هذا المكان جدير بأن يوضع فيه أقدم الآثار عهدًا في باريس تقديرًا لها ورفعًا لشأنها. وهو اختيار موفق دون ريب نظرًا لما امتاز به هذا الموقع من أحداث تاريخية وقعت فيه كان لها أعمق الأثر في تاريخ فرنسا، ففي هذا الميدان اجتمع الرجال الذين قادوا الثورة وفيها أقاموا المقصلة للتخلص من أعدائهم.

كما يمتاز ميدان الكونكورد بوجود حدائق التويليري وقصر اللوفر العظيم الذي يحوي أعظم المجموعات الفنية وأفخرها– لا في فرنسا وحدها، بل في العالم طرًا في أحد طرفيه – وفي الطرف الآخر قوس النصر العظيم الذي أقيم تخليدًا لانتصارات نابليون، وقبر الجندي المجهول، رمز التضحية الكبرى في سبيل السلام.

هذه المسلة هي الآن موضع فخر كل فرنسي يشاهدها كما هي موضع فخر المصري الذي يزور باريس ويراها مرتفعة شامخة نحو السماء.



مسلة رمسيس الثاني كانت تزين معبد آمون بالأقصر.. والآن تتوسط ميدان الكونكورد بباريس

وقد شيّد هذه المسلة رمسيس الثاني وأقامها أمام صرح معبد آمون تكريمًا لمعبودات طيبة. وقد نقش على جوانبها المناسبة التي شيدت لأجلها وهو الاحتفال بعيد يوبيله، وقد سجّل على المسلة ألقابه المتعددة، كما أشاد بعظمة هذه المسلة.

ورمسيس الثاني هو من أعظم الفراعنة الذين تولوا عرش مصر – عاش في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وعمر نحو قرن من الزمن إذ مات في الثالثة والتسعين، وحكم الإمبراطورية المصرية وكانت تشمل رقعتها أكثر من نصف العالم المعروف في ذلك الوقت. إذ كانت حدودها الشرقية تمتد حتى جبال طوروس ونهر الفرات وغربًا إلى ليبيا وجنوبًا حتى أثيوبيا وبلاد الصومال، حكم هذه الإمبراطورية نحو سبع وستين عامًا.

وكان رمسيس الثاني يعبد كإله، في جنوب الوادي وتقدم إليه العطايا والقرابين كما تقدم إلى سائر المعبودات حتى في أثناء حياته، وقد سجل ذلك على جدران معبد أي سنبل الذي شيده.

ولما تكتل حكام البلاد الشرقية وثاروا ضد حكمه معلنين العصيان أثار ضدهم حربًا شعواء وحدثت موقعة قادش المشهورة التي قادها وحارب فيها بنفسه بشجاعة خلد ذكرها الشاعر المصري القديم بنتاءور.

وقد اشتهر رمسيس الثاني ببناء المعابد وإقامة المسلات. ولا تزال أعظم المعابد في مصر تحمل اسمه وتدين له بالفضل في إنشائها مثل معبد أبي سنبل المنحوت في الصخر وبعض معابد الكرنك ومعبد الأقصر والرمسيوم والعرابة المدفونة ومعابد منف وتل بسطه وغيرها.

أما مقبرته فهي من أهم المقابر الملكية بوادي الملوك بطيبة، أما مومياؤه ففي المتحف المصري ترقد في جلال وروعة.

هذه لمحة صغيرة للتعريف بالملك الذي شيد هذه المسلة العظيمة. ونعود إلى المسلة: يبلغ طول هذه المسلة ٢٢،٨٤ مترًا (٧٥ قدمًا) وتزن نحو ٤٢٠ طنًا وهي بذلك تعد من عمالقة المسلات المعروفة فلا يفوقها طولاً، إلا مسلة اللاتران بروما وطولها ٣٢،١٥ مترًا، ومسلة حتشبسوت وطولها ٢٩،٥٠ مترًا ومسلة الفاتيكان وطولها ٢٥،٣١ مترًا.

أما قاعدة المسلة فهي أيضًا من الجرانيت من إقليم بريتون وقد سجلت عليها مناظر تشير إلى عملية نقل المسلة عام ١٨٣١، وخطوات

العمل التي تلت حتى أقامتها سنة ١٨٣٦ بإشراف المهندس ليباس.

وتاريخ ميدان الكونكورد حافل.. فقد صمم هندسة هذا الميدان المهندس جبرييل وأعده سنة ١٧٦٣ ليوضع في وسطه تمثال للملك لويس الخامس عشر.. وقد هدم الثوار هذا التمثال ووضعوا مكانه تمثالاً للحرية سنة ١٧٩٢ ثم غيّروه بتمثال آخر سنة ١٧٩٤ بناء على اقتراح لجنة الأمن، كذلك غيّر التمثال الأخير إذ رأت الحكومة القنصلية أن رمز الاتحاد – وليس الحرية – هو الأجدر بالتمثيل. لذلك رفع هذا التمثال ليحل محله عمود طويل تحيط به تماثيل من الأحجار تمثل أقاليم فرنسا.

وقد فكر نابوليون في أن يقيم فيه تمثالاً لشارلمان.

كما اقترح بعضهم على حكومة الإمبراطورية إقامة تمثال لتمجيد الجيش الفرنسي كما اقترح بعضهم الآخر تمثيل أنهار أوروبا الأربعة الكبرى، وشغله ببحيرة صناعية أو نافورة.

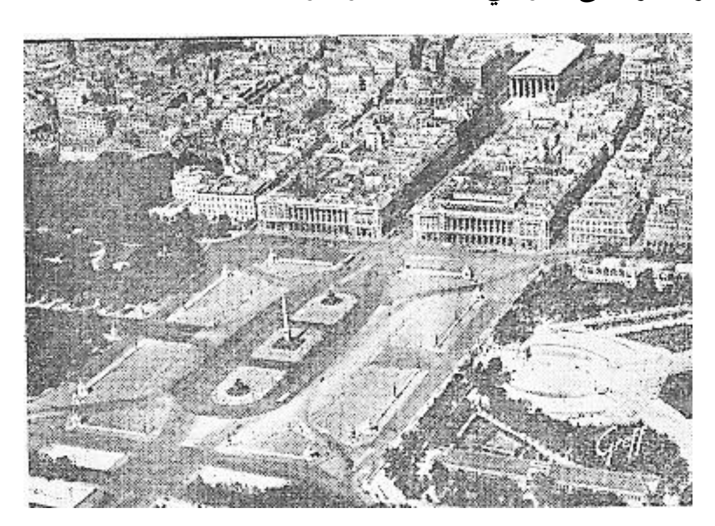
ولكن هذه الاقتراحات لم تثر اهتمام الإمبراطور.

وعندما عاد البربون إلى عرش فرنسا فكروا في تخليد ذكرى مقتل الملك لويس السادس عشر بالمقصلة وإقامة التمثال في نفس المكان الذي نفذ فيه الحكم تخليدًا لذكرى الملك وقد أقيمت بالفعل قاعدة التمثال سنة ١٨٢٦ أما التمثال وقد صممه كورتوه فلم يقدّر له أن يحتل هذا المكان.

ولما تولى لويس فيليب عرش فرنسا واجهته المشكلة. ما الذي

يصنعه في وسط هذا الميدان؟!

كان الميدان خاليًا.. لذلك عندما تلقى لويس فيليب المسلة من الأقصر فكر على التو في ميدان الكونكورد.



مسلة مصرية تتوسط ميدان الكونكورد في باريس

وهكذا أقيمت المسلة في أكبر ميادين باريس وأشدها اتصالاً بحياتها الروحية والسياسية وتاريخها الوطني الحافل بالكفاح. وأصبحت هذه المسلة لمصرية الكبرى التي كانت تزيّن معبد آمون الكبير بطيبة – سفيرًا دائمًا، شامخًا في أهم عواصم أوروبا يمثل حضارة مصر ويسترعي أنظار المعجبين ويجتذبهم إلى آثار الفراعنة وإلى تاريخ مصر الحافل الذي يشهد بأمجادها التاريخية وعظمتها وبقوتها الكامنة في نشر الحضارة وتدعيم السلام العالمي.

سبع عجائب فرعونية

عندما زرت معبد ميلان الدوري بإيطاليا لم يكن يخطر لي على بال أنني سأقضي يومًا حافلاً بين المصريين القدماء وكان كل ظني أنني سوف أتمتع بمشاهدة مدى ما وصل إليه الإنتاج الإيطالي وإلى أي حد بلغ الفن والعبقرية بقوم موهوبين مزجوا الفن بالصناعة واتخذوا من المصنع محرابًا ومن الإتقان والتجويد قرابين وزلفى.

هذا هو المعرض الدولي للفنون الزخرفية والصناعات والهندسة الحديثة في دوره التاسع وهو حلقة من سلسلة بدأت سنة **١٩٢٣** وأقيم في الفيللا الملكية بمونزا إحدى ضواحي ميلان. ونظرًا لنجاحه تزايد الإقبال عليه وكثرت معروضاته واتسع نطاقه لذلك أقيم في قصر الفنون في حدائق ميلان هي حدائق شاسعة تزيد في اتساعها على ٧٠ فدانًا ويزينها هذا القصر الشاهق المكون من ثلاثة طوابق فسيحة الردهات والأبهاء متعددة الغرف يبلغ اتساعها زهاء ٨،٠٠٠ متر مكعب.

وقد ساهم في هذا المعرض الكثيرون من المهندسين العالميين وكبار الرسامين والفنانين من كافة أنحاء العالم.

كانت مفاجأة لي دون شك أن أشاهد في هذا المعرض سبع عجائب فرعونية:

أما الأعجوبة الأولى فكانت تتمثل في طابع البريد التذكاري الذي

صمم بمناسبة إقامة هذا المعرض، فقد حرصت إدارة البريد الإيطالية أن تزينه باسم أمنحتب وهو اسم مصري قديم لقب به فراعنة أقوياء كان لهم فضل إنشاء الإمبراطورية المصرية من منتصف القرن الخامس عشر إلى نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد.



طابع بريد تذكاري

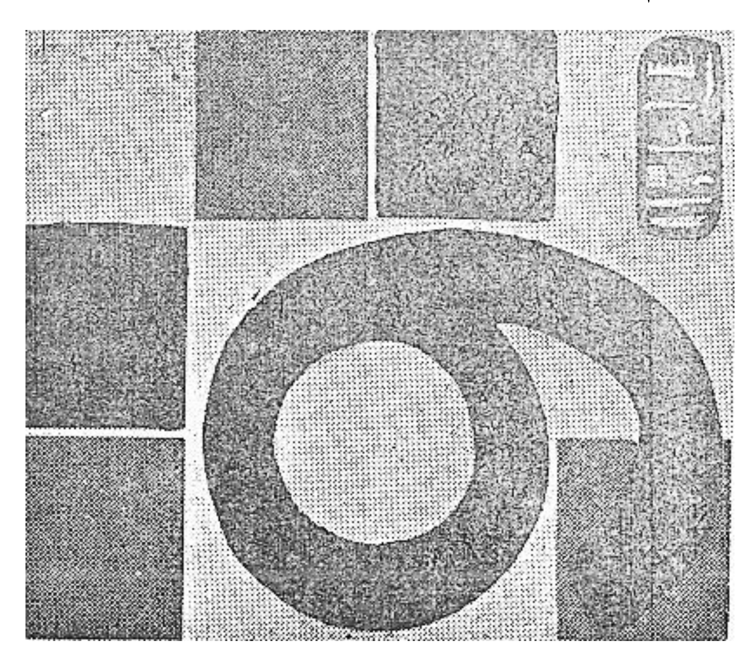
يحمل اسم أمنحتب

وقد كتب بخط هيروغليفي جميل داخل خرطوش ملكي، وبجوار الخرطوش رسم إناء من الفخار من مميزات الحضارة الأترورية — حضارة أهل إيطاليا الأقدمين، الذين عاصروا المصريين القدماء في حقبة من الزمن بين القرن العشرين والقرن الثالث قبل الميلاد وقدا عاشوا معًا متجاورين على ساحل البحر الأبيض المتوسط وقد جمعت بينهما وحدة الزمن ووحدة الجوار.

لا شك أن هذه مجاملة طيبة من إيطاليا المعاصرة الناهضة لجارتها مصر ودليل قاطع على ارتباط العلاقات الودية ووشائج الصلات الطيبة القائمة بينهما من أقدم العصور.

وكانت الأعجوبة الثانية هي اتخاذ هذا الرسم الفرعوني "أمنحتب"

شعارًا عامًا للمعرض وبذلك أثبت المشرفون على المعرض أنهم يذهبون في مجاملتهم لمصر إلى أبعد حد.



غلاف دليل معرض ميلان التاسع يحمل اسم "أمنحتب"

لذلك كانت تصدر النشرات والكتب والأدلة عن هذا المعرض يزينها هذا الشعار، بل إنهم صاغوا "دبوسًا" – بروش – يزيّن به الصدر على هيئة خرطوش كتب داخله اسم "أمنحتب" وكان يشاهد زوار هذا المعرض من الشبان والغانيات يرصعن به صدورهن وهن غاديات رائحات – فكانت في الواقع "مظاهرة" لمصر الفرعونية شعارها: "أمنحتب".

وتتمثل الأعجوبة الثالثة في اختيار اسم "أمنحتب" وقد تولى عرش مصر الفرعونية أربعة يحملون هذا الاسم. فأمنحتب الأول تولى عرش مصر ٢٠ عامًا من ١٥٦٢ إلى ١٥٤١ قبل الميلاد، وطد فيها دعائم

الإمبراطورية المصرية التي كانت تمتد من أطراف جبال طوروس شمالاً إلى حدود السودان الجنوبية، جنوبًا – وبعد حياة حافلة دفن بمقبرة بوادٍ مغلق اختاره سرًا غرب العاصمة وتبعه سائر الفراعنة فيما بعد وأصبح يعرف باسم وادي الملوك – كذلك دفن فيه والدته الملكة نفرتاري. لذلك أصبح اسم أمنحتب ملازمًا لوادي الملوك بل أصبح بعبارة أدق الرمز الديني لهذا الوادي المقدس في تاريخ مصر.

أما أمنحتب الثاني فقد حكم أكثر من ربع قرن قضى معظمه غازيًا مسجلاً انتصاراته على جدران المعابد التي شيدها في مختلف أرجاء البلاد ودفن أيضًا في وادي الملوك.

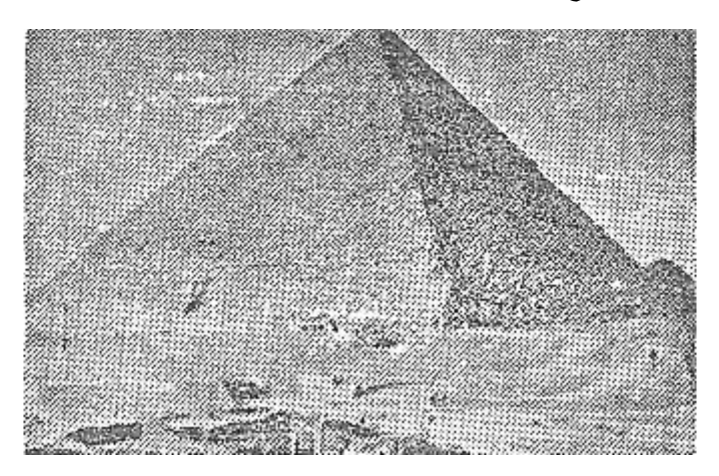
أما أمنحتب الثالث فقد تولى العرش زمنًا أطول، **٣٤** عامًا من **١٤١٤** إلى **١٣٧٩** قبل الميلاد – وقد اشتهر بتشييد العمارات والمعابد العظيمة مثل مدينة حابو والمعبد العظيم الذي شيده غرب طيبة والذي يمكن مقارنة ضخامته بالتمثالين اللذين أقامهما أمام صرح هذا المعبد والمعروفين بتمثالي ممنون وقد اشتهر في أوائل العهد الميلادي بما كان يصدر منهما من أصوات موسيقية عند الفجر والغروب نتيجة لشقوق حدثت في التمثال الأيسر وكان يرى المتعبدون والسياح فيها معجزة. فلما رممت الشقوق انقطع الصوت الموسيقي.

أما أمنحتب الرابع فقد حكم عشرين عامًا انتهت سنة **١٢٦٥** قبل الميلاد وهو الذي أحدث انقلابًا في الفن والدين وترك العاصمة القديمة طيبة إلى تل العمارنة بعيدًا عن سيطرة كهنة آمون حتى يتفرغ لعبادة قرص

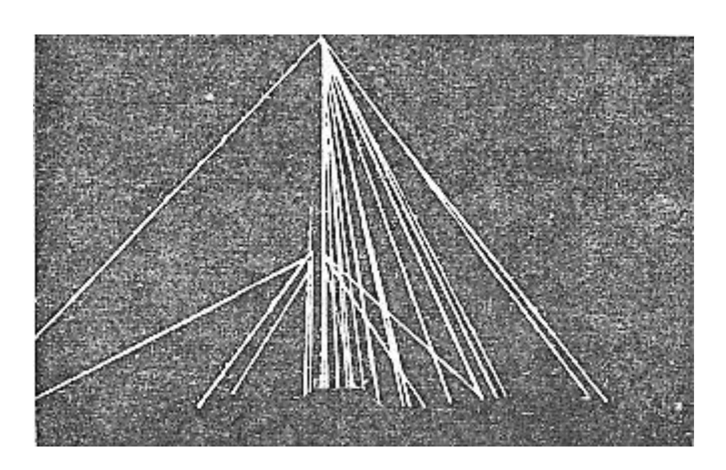
الشمس "آتن" وقد غيّر سمه إلى "أخناتون" تقربًا إلى معبوده الجديد.

وقد عاونته في حركته هذه زوجته "نفرتيتي" التي ذاع صيتها في العالم بفضل تمثالها الجميل الرائع الذي نقله بورخارت أحد علماء الآثار إلى برلين والآن يجدّ في العودة إلى وطنه حيث عاشت مليكته.

أما الأعجوبة الرابعة من أعاجيب معرض ميلان فهي التكوين الزخرفي الذي أقيم في مدخل المعرض وقد شيد على شكل هرم الجيزة الأكبر أحد عجائب الدنيا وقد رسمت الدهاليز التي تخترق الهرم من مدخله حتى مخدع الملك.



صورة لهرم الجيزة



التكوين الزخرفي لمدخل ميلان

يلاحظ مدى الدقة في رسم أبعاد التكوين الزخرفي

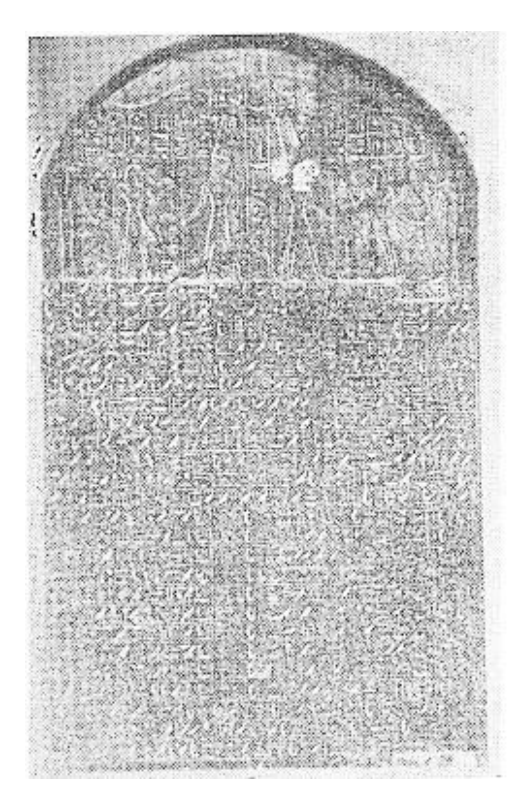
وقد روعي في هذا التكوين الزخرفي أبعاد الهرم الأصلية واتجاهاته ولم يغب عن الفنان إقامة الصاري فوق قمة الهرم الذي أقيم في الأصل ليدل على مقدار ما تهدم من قمته.

ويخيل إليّ أن الفنانين الذين شيدوا هذا التكوين الزخرفي البديع كانوا يهدفون إلى توضيح مختلف النظريات والآراء التي قيلت عن الوسائل التي أتبعت في تشييد الأهرام ومناقشتها على ضوء الاكتشافات الجديدة.

أما الأعجوبة الخامسة فتتمثل في استعراض الفن المصري القديم وكيف زين قدماء المصريين جدران المقابر والمعابد بالنقوش والزخارف وكيف استوحى منه المحدثون فنونهم الحديثة واستغلوه في الأعمال الفنية والاقتصادية وقد عرضت لوحات مشهورة من نقوش معبد حاتحوربدندره وغيرها من اللوحات التي تتسم بدقة الفن والتي أطلقوا

عليها بحق "الدقة الذرية".

أما الأعجوبة السادسة فكانت تتمثل في معروضات مصنع للآلات الكاتبة في كريما إحدى ضواحي ميلان، غير بعيد عن مكان المعرض، وقد عرضت آلات للكتابة بكافة اللغات المنتشرة في العالم سواء التي في الشرق الأقصى أو التي في جنوب أو شرق آسيا أو في شمال ووسط أوروبا أو في الشرق الأوسط ولم أكن أعتقد أني سأشاهد في هذا الحيز الضيق لغات مختلفة بهذه الكثرة وخيّل إليّ أنني أمام أطلس جغرافي لتوزيع العالم لغويًا.



لوحة بالهيروغليفية هل يمكن كتابتها على الآلة الكاتبة

أما الأعجوبة السابعة فقد رأيتها بعين الخيال أو تمنيتها على الأصح.. لو أن الآلات الكاتبة عرفت في عهد قدماء المصريين كم من الوقت والجهد كانوا قد وفروا! كانت كتابة اللوحة ونقشها وهذه قد تكون أحيانًا من الحجر الرملي وأحيانًا من الجرانيت تستغرق أشهرًا وربما سنين، تخيلت الكاتب المصري وقد جلس القرفصاء كما اعتاد منذ ٥،٠٠٠ سنة يترقب ما يملى عليه ليكتب في دقائق وفي سهولة ويسر ما كان يقضي فيه، بالطرق القديمة، شهورًا عديدة.

وتحدثت بما دار في خاطري إلى المسئولين في الشركة علهم يستطيعون تحقيقه فأجابوا أنه سوف يكون عمل آلة كاتبة بالحروف الهيروغليفية موضوع دراسة المختصين بالمصنع.

قد يتحقق مستقبلاً ما نظنه الآن مستحيلاً.

جولة بين مجموعات الآثار المصرية
في متحف اللوفر بباريس

تعتبر مجموعات الآثار المصرية في متحف اللوفر بصفة عامة من أهم المجموعات التي حوتها المتاحف، باستثناء المتحف المصري الذي يفوق متاحف العالم كله بفضل الوسائل والموارد التي لا تنقطع عن تغذيته إذ تضاف إليه باستمرار أحسن القطع الأثرية التي يعثر عليها علماء الآثار في حفائرهم.

تمثل المجموعات التي في متحف اللوفر تاريخ الفن المصري القديم إجمالاً وزيارة واحدة لهذه الآثار كفيلة بإعطاء فكرة عامة عن الحياة اليومية والفنية في مصر قديمًا وتطورها منذ أقدم العصور... وهذا يشهد للذين أشرفوا على تنظيم هذا المتحف وترتيب مجموعاته بالباع الطويل والتعمق في الدراسة ولا عجب في ذلك إذ أن معظم هؤلاء كانوا أول من أشرف على مصلحة الآثار المصرية وساهموا في إنشائها واشتركوا في ترتيب مجموعاتها وعلى رأسهم مريت الذي يرقد الآن بجوار المتحف المصري اعترافًا من مصر بجهوده.

***

ويحسن أن نشير إلى تاريخ مصر..قديمًا..

إن المؤرخ المصري القديم مرى إن تحوت "مانيتو"، الذي عاش

في القرن الثالث قبلا الميلاد، معاصرًا أو لعهد البطالمة، هو صاحب الفضل في تقسيم التاريخ المصري القديم إلى أسرات وقد أيدت جداول الملوك التي دونت على جدران المعابد والآثار أو التي عثر عليها بين الكشوف الأثرية، صحة هذا التقسيم.

وقد جمعت الأسرات المتماثلة بعضها إلى بعض وقسمت تقسيمًا إجماليًا إلى عصور رئيسية، هي:

عصر ما قبل الأسرات وتاريخ بدئه غير محدد وينتهي تقريبًا في القرن الأربعين قبل الميلاد عند بدء أول حكم الأسرات.

وقد كانت مصر في ذلك الوقت عامرة بالسكان الذين عاشوا فيما بين الشلال الأول وحدود الدلتا الشمالية كقبائل مختلفة وحّدت بينهما العوامل الجغرافية وكونت منها دولتين، واحدة في الصعيد والأخرى في الدلتا.

واستمر الحال هكذا حتى تولى مينا عرش الجنوب فحارب الدلتا وتغلب عليها ووحد بين الدولتين.

وبذلك يعد مينا مؤسس المملكة المصرية. وقد استمرت مصر موحدة وتطورت فيها الحضارة وتقدمت الفنون والصناعات في الدولة القديمة وهي تشمل الأسرات الست الأولى حتى القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد.

ومنذ الأسرة الثالثة أرسلت البعثات التجارية والحربية إلى الخارج

لاستغلال مناجم الذهب والنحاس وبدأ عهد جديد في فن العمارة بتشييد الأهرام الضخمة لتكون مقابر للملوك الأقوياء في الأسرة الرابعة. ثم بدئ في تشييد المعابد الكبرى وأخذت عبادة رع تنمو وتزدهر فأقيمت المسلات داخل هياكل المعابد وفي مداخلها إلى جانب تماثيل الآلهة المختلفة.

وتلى ذلك عصر ركود انقسمت فيه مصر عدة حكومات محلية هو عصر الفترة الأولى ويشمل الأسرات من السابعة إلى العاشرة وانتهى في القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد.

ثم تولى ملوك الأسرة الثانية عشرة وهم من طيبة أصلاً فأقاموا المعابد الجميلة ونفذوا مشروعات الري الكبرى في مصر الوسطى واستمر ذلك التقدم طول عهد الدولة الوسطى حتى القرن السابع عشر قبل الميلاد.

ثم تلى ذلك عصر الفترة الثانية حين اغتصب الهكسوس عرش البلاد واستوطنوا أواريس في الدلتا. واستمر ذلك من الأسرة الرابعة عشرة إلى الأسرة السادسة عشرة حتى القرن الخمس عشر قبل الميلاد.

وقد حاربتهم البلاد بقيادة حكام طيبة حروبًا طويلة أدت إلى تدمير المعابد الكبرى التي أقامها الملوك السابقون. وأخيرًا نجحت الحركة الاستقلالية واستطاعوا طرد الهكسوس وتمكن سكنن رع حاكم طيبة من مطاردتهم حتى خارج حدود البلاد ومات وهو يحارب وفي جسمه سبعة عشر جرحًا أحداها إصابة مميتة في الجمجمة.. وقد مهد

لابنه كاموزا تكوين الأسرة السابعة عشرة. وفي عهد أحمس الأول تمت فتوح فلسطين والشام وامتدت حتى جبال طوروس ونهر الفرات فيما بعد.

وفي مصر أقيمت المعابد الكبرى في العاصمة الجديدة؛ طيبة، مثل معابد الكرنك والأقصر وبدأ تشييد المقابر الملكية في صميم الصخر في وادي الملوك ونقشها بأجمل النقوش وأزهاها ويتطور التفكير ويحدث أمنحتب الرابع أخناتون انقلابًا في الدين فيترك معبودات السلف إلى عبادة جديدة هي التوحيد: قرص الشمس آتون – دون سواه.

وفي عصر سيتي الأول يزدهر الفن ويبلغ القمة.. ويظهر أثر ذلك في نقوش معابد أبيدوس – العرابة المدفونة – وطيبة التي تنتمي إلى ذلك العهد.

وفي عهد رمسيس الثاني – القرن الثاني عشر قبل الميلاد – شيّدت معظم المعابد المعروفة أو أكملت مبانيها، وقام بحروب ضروس ليحافظ على الإمبراطورية المصرية من الحكام الأقوياء الذين بدأوا يظهرون على الحدود ويعتدون على أطرافها الممتدة شمالاً وشرقًا وغربًا.

وبعده أخذت الإمبراطورية تتقلص تدريجيًا وظهر مغتصبون اقتسموا عرش البلاد فتولى أحدهم العرش في تانيس في الدلتا، وآخر طيبة في الصعيد، واستقل الحكام حتى أن حاكم بلاد النوبة تمكن من السيادة على البلاد.

واستطاع ملوك آشور غزو الدلتا ولكن حكام سايس استطاعوا

طردهم كما طردوا النوبيين وأسسوا الأسرة السادسة والعشرين فزادت موارد البلاد المالية ونمت التجارة مع سكان شواطئ البحر الأبيض فحفرت قناة بين النيل والبحر الأحمر هي نواة قناة السويس الحالية. ونهضت البلاد نهضة حقيقية أوقفها غزو الجيش الفارسي في القرن الخامس قبل الميلاد، ولكنها استعادت حريتها في آخر عهد الأسرات الثامنة والعشرين والتاسعة والعشرين والثلاثين فأصلحت المعابد وانتعشت الحياة. ولكن عاد الفرس إلى غزو البلاد مرة أخرى ولكن تتبعهم المقدونيون وعلى رأسهم الإسكندر الأكبر وطردهم من البلاد. وقد توج ملكًا على البلاد فأنشأ مدينة الإسكندرية عام ٢٣٢ قبل الميلاد ثم خلفه البطالمة فاقتدوا بالفراعنة في إقامة المعابد الفخمة وأنشئوا جامعة الإسكندرية وازدهرت العلوم والفنون.

ولكن في آخر عهدهم قامت بينهم الخلافات والحروب فثارت طيبة وانتهى الأمر بتخريب مبانيها ومعالمها الأثرية الهامة.

وأخيرًا استولى أغسطس على الإسكندرية سنة ٣٠ قبل الميلاد فأصبحت البلاد تابعة لروما. وقد شيّد الإمبراطرة الكثير من المعابد ونقشوا أسماءهم وألقابهم أسوة بالفراعنة.

وأخيرًا دخلت المسيحية في البلاد وفي سنة ٣٨٩ ميلادية أصبحت الديانة الرسمية في عهد ثيودوسيوس وبذلك انتهت صفحة تاريخ مصر القديم.

***

تبدأ مجموعات الآثار المصرية المعروضة في متحف اللوفر من حيث تنتهي معروضات القسم الإغريقي.

وتؤدي إلى القسم المصري درجات من السلم تنتهي إلى سرداب سفلي.

وفي وسط السلم إلى اليسار نشاهد لوحة جنائزية من الحجر الجيري لأحد كبار الموظفين في عهد تحتمس الثالث في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، واسمه أنتف وقد سجل على اللوحة أنه الصديق الأوحد لفرعون وأنه حاكم أقاليم طيبة وسائر أقاليم الصحراء والواحات.

وقد كتبت اللوحة بالخط الهيروغليفي الغائر وأثر الألوان الزاهية لا يزال باقيًا ورسومها ونقوشها في منتهى الجمال.

وقبل نهاية السلم نشاهد لوحتين تواجه إحداهما الأخرى وهما أيضًا من الحجر الجيري والنقوش غائرة وملونة، فالتي إلى اليمين تنتمي إلى نسومونتو وهو أحد القادة العسكريين الذين عاشوا في القرن العشرين قبل الميلاد وخدم كلاً من الملكين العظيمين أمنحمات الأول وسنوسرت الأول وقد أشاد في لوحته أنه حارب الآسيويين الذين تجاسروا على الاقتراب من شرق الدلتا وأما اللوحة التي إلى اليسار فهي لموظف اسمه حور ابن سنت ماليت وقد أرّخ اللوحة بالسنة التاسعة من حكم الملك سنوسرت الأول – فهي تعاصر إذن اللوحة المواجهة.

وفوق المدخل نشاهد لوحة من تل العمارنة رسم عليها أخناتون يقدم البخور إلى المعبود آتون: قرص الشمس المشرقة.

ويرجع تاريخ هذه اللوحة إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

إذا نظرنا إلى أعلى السرداب حيث السقف شاهدنا تحفة "البروج الفلكية" وقد كانت تزين سقف معبد أوزيريس بمعبد حاتحور الكبير بدندره. كما سبق أن علمنا.

أما في السرداب إلى اليمين – فيشاهد تمثال كبير لأبي الهول من الجرانيت الوردي اللون. ونظرًا لضخامة هذا التمثال وإتقان صناعته وجمال شكله فقد أغرى الكثيرين من الملوك على أن ينسبوه لأنفسهم فالمعتقد أنه من صناعة الدولة المتوسطة من عهد أمنحمات الثاني – في منتصف القرن التاسع عشر قبل

الميلاد ثم اغتصبه فيما بعد أبوبي أحد الحكام الهكسوس في القرن السادس عشر قبل الميلاد ثم بعده الملك مرى إن بتاح–منفتاح– في القرن الثاني عشر ثم شيشنق الملك النوبي في منتصف القرن التاسع قبل الميلاد.

وقد تعددت آراء علماء الآثار بشأن الغرض الأساسي من تمثال أبي الهول، وحقيقة المقصود منه. لا شك انه رمز ديني وقد يكون المقصود برسم جسمه على شكل أسد أن يكون رمزًا للقوة وبرأس إنسان أن يكون رمزًا للعقل والتفكير. على أنه ثابت أنه كان يوضع إلى جانب الصروح الكبرى وعلى جانبي الطريق المؤدي إلى مدخل المعبد.

وقد حرص الملوك على كتابة أسمائهم وألقابهم على أكتاف وجانبي هذه التماثيل وكذلك أسماء المعبودات والمعابد التي أقيمت بجانبها.

وقد أثبتت الاستكشافات الأخيرة في الجيزة وطيبة وغيرها أنه كانت تقدم قرابين ولوحات جنازية لهذه التماثيل.

وسوف تحل الاستكشافات القادمة مشكلة أبي الهول.

ويواجه تمثال أبي الهول لوحة من الجرانيت الأحمر تمثل الباب الوهمي الذي أقامته الملكة حتشبسوت لروح والدها الملك تحتمس الأول في معبدها بالدير البحري بطيبة حوالي القرن الخامس عشر قبل الميلاد.

وإذا ارتقينا السلم إلى أعلى شاهدنا في أعلى المدخل المؤدي إلى الأبهاء التي عرضت فيها الآثار لوحة من الحجر الجيري تمثل المعبودة نخبيت على شكل طائر تحمي بأجنحتها رمسيس الثاني.

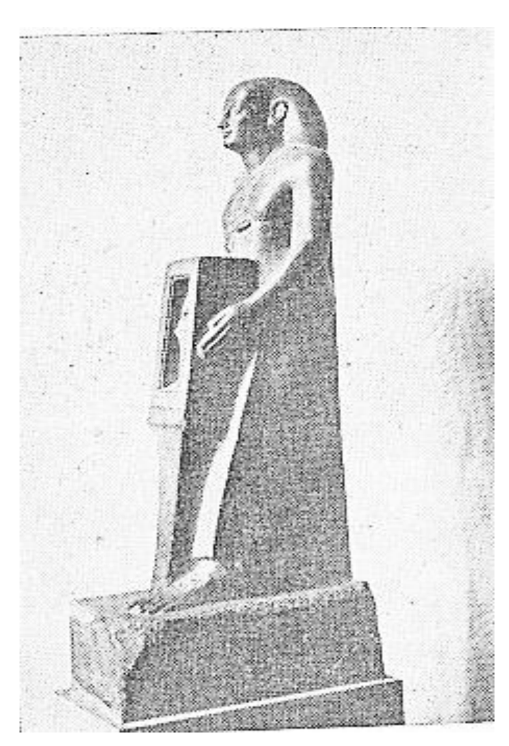
وإلى اليمين عند منتصف درجات السلم لوحة تنتمي إلى مس وإيبي وقد يكونا زوجين إذ ليس من المألوف أن يكتب اسم شخصين على لوحة جنازية واحدة وهذه اللوحة تنتمي إلى عصر الرعامسة وقد عثر عليها لابروبير أثناء قيامه بحفاير في دير المدينة سنة ١٩٢٦ وتمتاز هذه اللوحة بجمال نقوشها وألوانها.

ويواجهها إلى اليسار لوحة جنازية تماثلها جمالاً لأحد الموظفين ويدعى سنوسرت خدم الملك سنوسرت، الثاني في القرن التاسع عشر قبل الميلاد.

وعلى جانبي درجات السلم ست أوان كانوبية ضخمة – ثلاثة

على كل جانب – خالية من النقوش – تنتمي إلى الأسرة الثامنة عشرة وقد عثر عليها بالسرابيوم بسقارة بمقبرة العجول المقدسة التي كشفها ماريت. وكانت توضع فيها أحشاء العجل أبيس والأجزاء الداخلية كالقلب والكبد والرئتين.

نشاهد في مواجهة السلم – في القاعة الأولى – تمثالاً ضخمًا للملك سيتي الثاني من الحجر الرملي الأحمر يمسك بيديه صولجانات الحكم، والتمثال به بعض كسور وصناعته غير ممتازة.



تمثال من الجرانيت الأشهب من العهد الصاوي

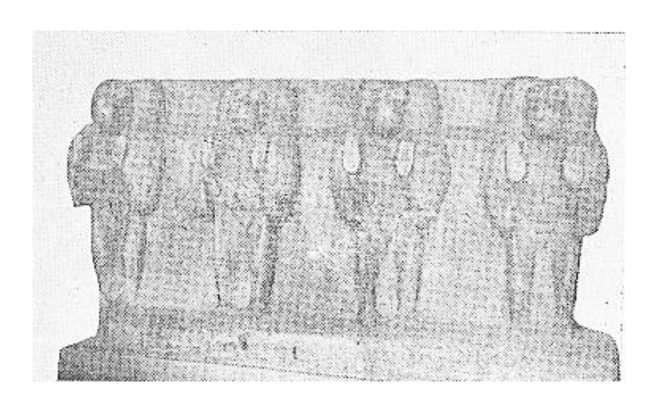
ونشاهد إلى اليمين تمثالاً من الجرانيت الأسود لشخص جالس

يحتضن المعبود "أوب واوات – الثعلب المصري" اسمه ساجس كان موظفًا بمخازن الغلال – الشون – في عهد الأسرة التاسعة عشرة، القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

وقد علق على انب الجدار الجنوبي داخل إطار من الزجاج نسيج من الشيخ عبادة قرب ملوي ويرجع عهد هذا النسيج إلى أوائل العصر القبطي، القرنين الرابع والخامس. وقد رسمت عليه بعض مناظر تمثل مولد باكوس وتليه رسوم زخرفية في الوسط ومناظر للرقص في أسفل.

وفي المدخل بين البهو الأول والبهو الثاني نشاهد إلى اليمين داخل فجوة "طاقة" في الحائط تمثالاً للوزير بسماتيك ابن سنب وهو من الحجر البروفيري الأخضر ثم نشاهد قطعًا صغيرة من ناووس في عصر البطالمة رسم على قطعة منه المعبودة حاتحور كحامية للناوووس وللراقد داخله. ثم تمثالاً للطائر أيبس "أبو منجل" من البرونز والخشب المطلي بالجبس من العصر المتأخر.

وفي الفجوة إلى اليسار وقد خصصت للمكتشفات الحديثة نشاهد مجموعة من الآثار التي عثر عليها في كوم دارا بمنفلوط سنة ١٩٥٠ وهي مجموعة قيّمة تستحق التنويه.



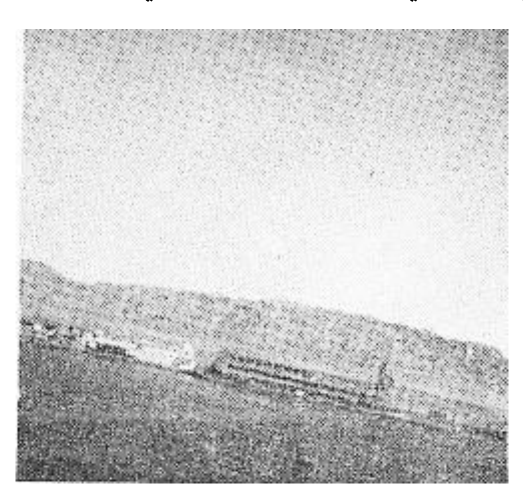
قرود تبتهل – قاعدة مسلة الأقصر.. من مقتنيات متحف اللوفر

فنشاهد إلى اليمين امرأة تعجن وهي واقفة وهو تمثال صغير من الحجر الجيري الملوّن وإلى اليسار تمثالاً لامرأة تعجن وهي جالسة وبينهما إناء على شكل العلامة إيب وتعني القلب.

وفي الوسط عقد من العقيق الأحمر الكثير الحبات وسكين من الصوان المشرشر وأربع بطات مذبوحة معدة للتقديم كقرابين جنازية وفي الطرف الأعلى مساند للرأس من المرمر.

بلاد النوبة قبل وبعد المشروعات الكبرى

بلاد النوبة هي قطعة من أرض مصر – تقع في قلب وادي النيل بين الشلالين الأول والرابع أي بين مدينتي الشلال شمالاً وأبو حمد جنوبًا، وعلى ذلك فمدينة وادي حلفا القريبة من الحدود الإدارية بين مصر والسودان تتوسط هذه البلاد. وقد اكتسبت النوبة اسمها من نوب الكلمة المصرية القديمة التي تعني الذهب وقد توارثنا هذا الاسم دون تغيير ما – على مر العصور – حتى وقتنا هذا.. والواقع أن مناجم الذهب التي استغلها المصريون القدماء كلها إذا استثنينا مناجم السكري والفواخير التي كانت في الوديان والجبال شرقي بلاد النوبة.



البواخر النيلية وسيلة الانتقال إلى بلاد النوبة

ورد اسم النوبة في النصوص المصرية القديمة، وكان القدماء يقسمون هذه البلاد إلى الأقسام الإدارية الخمسة الآتية:

واوات: وكانت تمتد من جنوب مدينة أسوان الحالية حتى قصر أبريم

وارتيت: وكانت تمتد من قصر أبريم إلى أبي سنبل

وسنمو: وكانت تمتد من أبي سنبل إلى الشلال الثاني جنوب وادي حلفا.

وبلاد يام: وتمتد من الشلال الثاني إلى صولب.

وكوش: وكانت تمتد من صولب إلى أبي أحمد، أقصى حدود النوبة جنوبًا

وقد ورد اسم كوش في بعض النصوص وضمن الأدبيات المصرية القديمة وهو يعني بلاد النوبة – وقد يكون هذا من باب إطلاق الجزء على الكل.

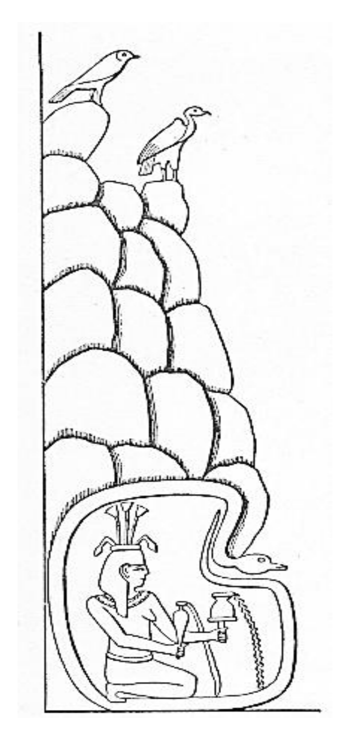
وكانت تعرف بلاد النوبة أيضًا في العصور الفرعونية المتأخرة باسم "تاكنست" أو بلاد كنست – واسم الكنوز الذي يطلق حاليًا على سكان شمال النوبة لا شك أنه تحريف للاسم المصري القديم.

تتسم هذه البلاد بمناظرها الطبيعية الجميلة. فهي عبارة عن وادٍ ضيق يتخلله النهر تكتنفه حافتا الهضبتين الشرقية والغربية.



منظر في الطريق إلى بلاد النوبة

وخزان أسوان هو النافذة التي تطل بلاد النوبة منها على الوادي، وبعد انتهاء فيضان النيل يبدأ خزان المياه خلف الخزان فتصبح هذه عبارة عن مساحات مائية شاسعة يصل منسوبها إلى ١٢٣ مرًا فوق سطح البحر. ومياهها هادئة لا حركة فيها كأنها بحيرة كبرى جدرانها من الجرانيت الأحمر الوردي الفاخر تتلألأ حبيباته تحت أشعة الشمس وعلى هذه الجدران نصوص تحوي أسماء الكثيرين من الفراعنة منذ عهد الدولة القديمة – وكذا كبار القواد ورؤساء الحملات العسكرية والتجارية وحكام النوبة الذي كان يحمل كل منهم لقب "ابن فرعون" تكريمًا وقد نقشوا أسماءهم تذكارًا وتخليدًا وهم في طريقهم إلى الجنوب.



وعلى بعد كيلومترات قليلة قبلي الخزان تعترضصخور من الجرانيت مجرى النهر كأنها تسد مجراه.. وقدشاهد المصريون الأولون هذه الظاهرة منذ آلاف السنين —فخيّل إليهم أن النهر تنبه مياهه من هذه الصخور ولا شكأن هذه كانت أساس عقيدة القدماء عن منابع النيل، وقددوّنوا هذه العقيدة على جدران معابدهم. فعلي جدرانأحد المعباد غربي جزيرة أنس الوجود رسموا منابع النيل على

هيئة صخور يعلوها الصقر المصري والمياه تنساب من خلال صخور الفنتين المقدسة.

من بين صخور الفنتين كان ينبع نهر النيل

لا يصلح للزراعة في بلاد النوبة غير وديان قليلة المساحة أو أراض رملية مستوية انتشرت فيها أشجار النخيل، وعلى ثمار النخيل تعتمد بلاد النوبة في ثروتها الزراعية. والنوبيون يصدرون منه كميات عظيمة إلى أسواق العواصم المصرية سنويًا كما أنهم يعتمدون عليه من الناحية الغذائية ويختزنونه طول العام.

والنباتات التي تزرع في أنحاء الوادي معروفة في بلاد النوبة ولكنها تزرع هنا بكميات محدودة وفي مساحات قليلة عندما تنحسر عنها مياه الخزن نذكر منها بصفة خاصة المقاث والذرة، ولكن ثم نباتات تنمو بريًا أشهرها الكشر ونقيق وهو يماثل اللوبيا وتأكل الحيوانات سيقان هذا النبات بينما يأكل الأهالي ثماره.

ويتكلم النوبيون لهجتين من الرطانة، ففي الشمال من أسوان إلى مضيق يتكلمون اللهجة الماتوكية أو الشمالية وتسمى أيضًا الكنزية– وفي الجنوب من كرسكو إلى أدندان يتكلمون الفادتيكا أي الجنوبية. أما المنطقة الوسطى من مضيق إلى كرسكو فيسكنها عرب العقيلات ويتكلمون اللغة العربية.

وقد تعددت الآراء فيما يختص بلغات أهل النوبة والرأي السائد أنها لغات ولهجات محلية من أصل حامي أي من الجنوب وقد دخلتها وامتزجت بها مفردات من اللغات المصرية القديمة واللغة الليبية واللغات السامية على مر العصور.

وأسماء بلاد النوبة وقراها ليست عربية على كل حال وقد

توارثناها كما هي أذكر منها على سبيل المثال دابود ودهميت والامبركاب والكلابشة وأبو هور ومرواو ومريا وقرشة وكشتمنه والدكة وقورته وشاتورما والسنقارى والدخلانية، وتوماس وقته وابريم وعنيبة ومصمص وتوشكا وأبو ستبل وبلانه وقسطل وادندان.

وقد عملت في بلاد النوبة مشروعات كثيرة وأهمها دون شك خزان أسوان وقد بدء في إنشائه عام ١٨٩٨ وتم العمل فيه عام ١٩٠٢ وقد اختير موقعه في منطقة صخرية تتحمل ضغط مبانيه الضخمة وكذا ضغط مليار متر مكعب وهي كمية المياه التي يحجزها الخزان سنويًا.

أغرقت المياه المخزونة أراضي وقرى ونخيل أهل النوبة لذلك اضطروا إلى إقامة مساكن جديدة عالية بفضل ما صرف إليهم من تعويضات.

زاد التوسع الزراعي فأصبحت كمية المياه التي تخزن غير كافية لسد حاجة الزراعة لا سيما في الري الصيفي لذلك فكر أولو الأمر في تعلية الخزان وبدأ العمل في التعلية الأولى عام ١٩٠٧ وتم عام ١٩١٢، وأصبحت سعة الخزان مليارين ونصف مليار متر مكعب سنويًا أي ضعفين ونصف ضعف سعته قبل التعلية.

تقدم العمران بالبلاد فاشتدت الحاجة إلى مياه أثر للري لذلك عملت التعلية الثانية وقد بدأت في سنة ١٩٢٩ وتمت سنة ١٩٣٣ وأصبحت سعة الخزان خمسة مليارات متر مكعب أي خمسة أضعاف سعته عند تشييده.

كان نتيجة لذلك أن أغرقت أرض النوبة حتى ارتفاع ١٢٠ مترًا فوق سطح البحر وبذلك فقد النوبيون معظم أراضيهم الصالحة للزراعة ونخيلهم وأكثر قراهم. ولم تكن التعويضات التي دفعت كافية أو مجزية.. لذلك كان لزامًا أن ييسر أولو الأمر لأهالي النوبة إيجاد أراض زراعية وقد قاموا بذلك فعلاً فأنشئوا مشروعات للري النيلي في الدكة وأبي سنبل وبلانه وأمكن ري الأراضي الزراعية ريًا مستديمًا كما أنشئت مشروعات للري النيلي بعد تفريغ الخزان في قورته وتوماس وعنيبهوتوشكوأرمنا.. ومشروعات للري الشتوي أثناء خزن المياه لري الأراضي المرتفعة حول وادي العلاقي.

وقد أقيمت آلات عائمة على (صنادل) على شاطئ النيل حتى يمكن تجنب خطر تغيير مناسيب المياه أثناء خزن وتفريغ المياه وبذلك أمكن ري آلاف الأفدنة.

وقد فكر أخيرًا مجلس الإنتاج القومي في وضع سياسة طويلة الأمد فاقترح مشروع السد العالي وهو مشروع جبار تبلغ تكاليفه نحو مائتي مليون جنيه.. وهو يعمل على رفع منسوب المياه إلى ارتفاع ١٨٠ مترًا فوق سطح البحر بينما أقصى ارتفاع لمياه الخزان حاليًا هو ١٢٣ مترًا فقط. عندئذ اتجه التفكير إلى زراعة الأراضي التي يرتفع مستواها عن ١٨٠ مترًا وهو متوافرة في منطقة السيالة وتصلح للزراعة ولسكنى الأهالي ويمكن أن تستوعب هذه المنطقة كل أهالي النوبة، وتبلغ مساحتها نحو ٧٥،٠٠٠ فدان.

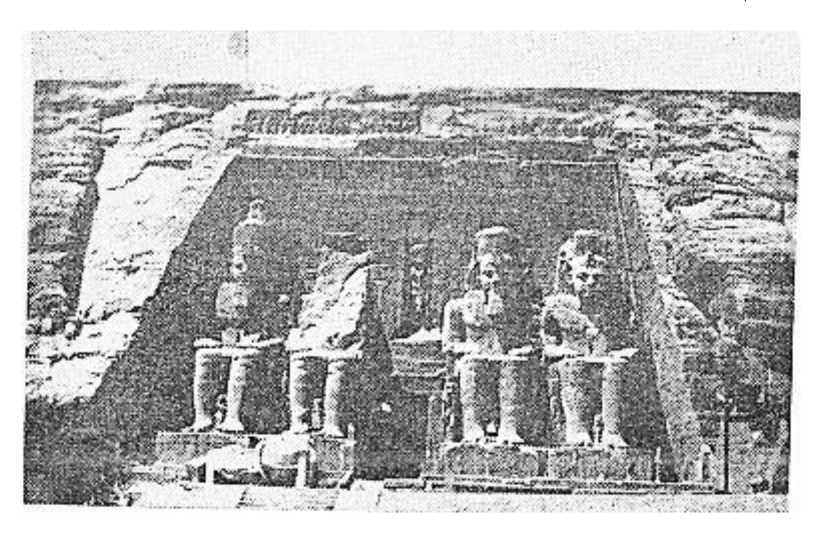
ولن تقصر فائدة السد العالي على بلاد النوبة وحدها بل سوف يكون من أثره التوسع في زراعة نحو مليوني فدان منها مليون فدان غرب الدلتا ونصف مليون فدان شرق الدلتا ونصف مليون فدان في الصعيد.

ومن أهم المشروعات العمرانية التي سوف يكون لها أكبر أثر في نهضة بلاد النوبة اقتصاديًا واجتماعيًا مشروع كهربة الخزان ويجري العمل فيه بخطى واسعة – ويطلق على هذا المشروع اسم مشروع مصر الأول.

ومن أهم المشروعات التي يجري العمل فيها حاليًا في بلاد النوبة هو مد طرق حديدية فيما بين الشلال الأول ووادي حلفا وقد بدأ العمل في تنفيذ هذا المشروع منذ سنوات قليلة مضت من الشلال على الضفة الشرقية للوادي. وسوف يكون طول هذا الخط الحديدي حوالي ٤٥٠ كيلو مترًا وقدرت نفقاته الإجمالية بنحو أربعة ملايين ونصف مليون جنيه.

وقد كان لطبيعة الهضبة الشرقية وارتفاع حافتها المجاورة للوادي أثر إذ أُضطر إلى مد الخط الحديدي بعيدًا عن قرى بلاد النوبة لذلك لن ينتفع به الأهالي في الانتقال بين قرى النوبة ومدنها وسيقصر الانتفاع به على ربط مصر بالسودان كما أنه سيربط مناجم الذهب في العلاقي وكذا سائر المناجم والمحاجر في الصحراء الشرقية بسكة الحديد الرئيسية الممتدة إلى مصر – وسوف يعاون هذا على حسن استغلال هذه المناجم والانتفاع بها مما يعود بالخير على الأهلين وعلى الاقتصاد القومي.

هذه كلمة وجيزة عما يجري العمل فيه حاليًا في بلاد النوبة وعما يفكر أولو الأمر في عمله لهذه البلاد ولخير أهليها.. هذه البلاد التي امتازت بالهدوء الشامل والتي عرف عن أهليها حب القناعة والرضا والسلام.



واجهة معبد أبي سنبل الصخري.. أشهر معالم بلاد النوبة

كيف كشفت مقبرة توت عنخ آمون

يعتبر كشف مقبرة الملك توت عنخ آمون الذي بدأ في ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٢٢ من أعظم الاستكشافات الأثرية.

فلأول مرة في تاريخ الكشوف الأثرية في مصر كشفت مقبرة ملكية كاملة المحتويات كادت أن تسلم من أيدي لصوص المقابر الذين عرفتهم مصر منذ أقدم العصور.

وقد ظهر اسم الملك توت عنخ آمون لأول مرة في عالم الحفائر في مصر في موسم عام ١٩٠٦ وعام ١٩٠٧ ذلك أن المستر ثيودور دافيز أحد علماء الآثار المصرية كان يقوم بعمل حفائر في وادي الملوك بطيبة في ذلك الموسم، فعثر على مجموعة من التحف تحمل اسم الملك توت عنخ آمون، وأهم هذه المجموعة الكأس التي عثر عليها المستر ايرتون المشرف الفني على حفائر دافيز. وهذا الكأس أزرق اللون ذو لمعان أخاذ وجميل الشكل وقد كتبت داخل (خرطوش) أسماء وألقاب الملك توت عنخ آمون.

وفي العام التالي عام ١٩٠٧ عثر المستر هارولد جونس أحد أعضاء بعثة دافيز على غرفة منحوتة في الصخر على عمق ثمانية أمتار تحتوي على تحف كثيرة عليها اسم توت عنخ آمون وزوجته عنخ اس آمون وأسرى موثوقين ومناظر مختلفة تبين انتصار الملك على أعدائه.

وبعد بضعة أيام من كشف الغرفة المذكورة كشفت حفرة قريبة منها وجدت فيها أوان كبيرة من الفخار تحتوي على بقايا أثاث جنائزي مثل أكاليل من أوراق الشجر والأزهار وربطات صغيرة على شكل (صرر) من مواد ناعمة.

وكان غطاء إحدى هذه الأواني مفقودًا فاستعيض عنه بغطاء من نسيج الكتان كان منقوشًا عليه بالمداد كتابة تشير إلى العام السادس من حكم الملك توت عنخ آمون.

ولم تكن هذه بطبيعة الحال مقبرة للملك توت عنخ آمون بل كانت مخبأ، خبأ فيه اللصوص ما سرقوه من مقبرة توت عنخ آمون وغيره من الملوك.

على أن المستر دافيز وأعضاء بعثته كانوا يعتقدون أنهم كشفوا مقبرة الملك توت عنخ آمون اعتقادًا لا يخالجه الشك حتى أنهم عندما أصدروا كتابًا باللغة الإنجليزية عام ١٩١٢ عن أعمال بعثة الحفائر في السنوات ١٩٠٦ – ١٩٠٨ كانا عنوانه:

"مقبرتا حر محب وتوت عنخ آمون"

أما ماسبرو الذي كان إذ ذاك مديرًا عامًا لمصلحة الآثار فقد كتب في صدر هذا الكتاب كل ما كان معروفًا حتى ذلك الوقت عن تاريخ حياة هذين الملكين.

ومن الأنصاف أن نذكر أن ماسبرو كان يشك في أن الحجرة

التي كشفها المستر جونس سنة ١٩٠٧ هي مقبرة الملك توت عنخ آمون إذ ذكر في تقريره أنه يعتقد أن مقبرة توت عنخ آمون توجد بين مقبرتي أمنحت الثالث وآي، وهما ملكان تولى الأول منهما عرش البلاد قبل توت عنخ آمون وتولى الآخر بعده.

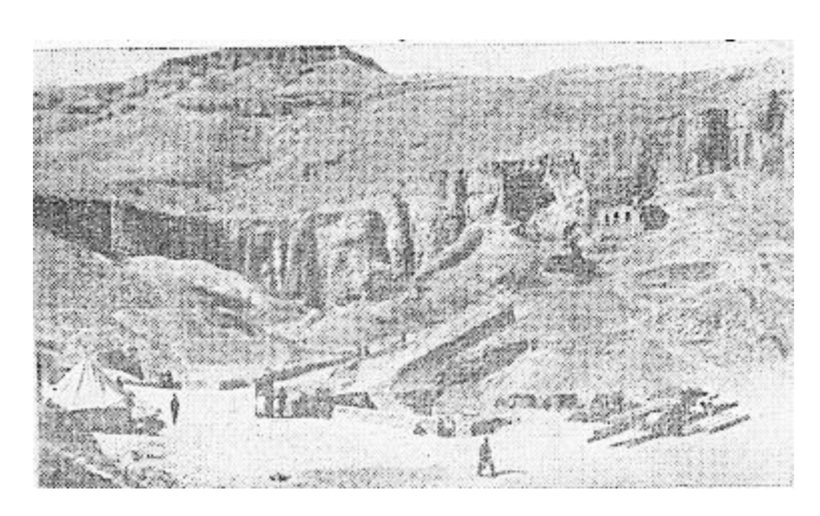
قال ماسبرو: "وهذا مجرد افتراض فالحقيقة لا نعلمها بعد".

وقد أثبتت الحفائر والكشوف التي عملت بعد ذلك صحة اعتقاده في عدم نسبة هذه المقبرة إلى توت عنخ آمون ولكنه بعد عن الحقيقة في افتراضه وجود المقبرة بين مقبرتي أمنحتب الثالث وآي.

* * *

بعد ثيودور دافيز قام اللورد كارنرفون بإجراء حفائر في وادي الملوك بطيبة في عام ١٩١٤ وقد استعان بالمستر هوارد كارتر الذي كان كبيرًا لمفتشي الآثار في الأقصر ليشرف على الحفائر من الناحية الفنية.

بدأ العمل سنة ١٩١٥ واستمرت الحفائر عدة مواسم متوالية حتى عام ١٩٢١ دون أن يوفق رجال البعثة إلى العثور على شيء وكانت طريقتهم في الحفر هي عمل خنادق للجس أي إزالة الأحجار والأتربة التي كانت تغطي جانبي الوادي والتي تخلفت عن حفر المقابر في جوف الصخر.



وادي الملوك بطيبة وقد أشير بسهم إلى مقبرة الملك توت عنخ آمون

وكانت مهمة المستر كارتر هي عدم ترك أي جزء من الوادي دون أن يكشف عن الأتربة ويفحصه حتى لا تفوته أي ثغرة في الصخر.

وكان عليه في موسم عام ١٩٢٢ أن يتمم أعمال السنوات السابقة التي انتهت إلى نقطة شمال شرق مقبرة رمسيس السادس ومن هذه النقطة حفر خندقًا للجس ينتهي إلى الجنوب. وفي الطريق اعترضه وجود أكواخ أثرية شيدها عمال الجبانة واستعملوها لسكناهم في أثناء اشتغالهم بحفر المقابر الملكية.

ولا يزيد ارتفاع هذه الأكواخ عن سطح الجبل الصخري أكثر من متر وعددها كبير إذ تغطي جانب الوادي جنوب مقبرة رمسيس السادس وتنتشر على جانبيه.

وقد أجرى دافيز حفائره في هذه المنطقة بين السنوات ١٩٠٥ و ١٩١٢ ولكنه ترك هذه الأكواخ دون أن يمسها لظنه عدم وجود مقابر

ملكية تحت مقبرة رمسيس السادس وتحت هذه الأكواخ.

أما كارتر فقد كان أكثر منه توفيقًا إذ خيّل إليه أنه قد يكون تحتها شيء – لذلك قام بفحص هذه الأكواخ ورصدها ورسمها ثم أخيرًا أزالها.

وفي صباح ٤ نوفمبر أي في اليوم الرابع من بدء العمل لحظ أن العمال توقفوا وسادت فترة من السكون.

فسأل كارتر رئيس العمال عن سبب ذلك فأجابه هذا بكل هدوء:

"عثر العمال تحت أول كوخ أزيل على درجة من السلالم محفورة في الصخر"، وكان هذا النبأ هو ما كان كارتر ينتظر سماعه منذ سبع سنوات مضت إذ أنه ق يعني العثور على مقبرة ملكية!

لا شك أن الدكتور هوارد كارتر قد انتابته مشاعر كثيرة متباينة عند سماعه هذا النبأ.

يعرف ذلك تمامًا الذين قاموا بعمل حفائر ومرت عليهم هذه اللحظة الحاسمة. أهذا هو القبر الذي كان كل هدفه العثور عليه؟! ألا يزال سليمًا؟ أم هو قبر نهب في العصور القديمة؟! أم هو مقبرة لم تتم ولم تستعمل للدفن أبدًا. أم هو مجرد مغارة لا قيمة لها إطلاقًا؟!

كانت هذه الأفكار والهواجس تنتابه وهو يراقب عمال الحفائر وهم يجدّون في الكشف عن درجات السلالم التي أخذت تظهر رويدًا رويدًا الواحدة بعد الأخرى حتى بلغ عددها اثنتي عشرة درجة.

وفي نهاية هذه الدرجة عثر على باب مسدود بالطين ومختوم

بخاتم الجبانة الملكي وهو ابن آوى وتسعة من الأسرى الموثوقة أذرعتهم داخل خرطوش ملكي ومعنى ذلك:

أولاً: أن المقبرة سليمة إذ أن الختم الذي وضع على باب الجبانة بعد إتمام مراسيم الدفن لا يزال سليمًا.

ثانيًا: أن المقبرة لشخصية هامة جدًا.

ثالثًا: نظرًا لأن مدخل المقبرة كان تحت أكواخ عمال من عهد الأسرة العشرين لذلك فإن أحدًا لم يتعدّ على المقبرة منذ عهد هذه الأسرة على الأقل.

فتح المستكشف بعد ذلك ثغرة في هذا الباب في أعلاه وأولج "بطارية" كهربائية صغيرة فوجد خلف الباب ركامًا من الأحجار والأتربة.

فتأكدت ظنونه أن المقبرة سليمة لم تنهب.

كان المنتظر أن يستمر في إتمام كشفها ولكنه أوقف العمل وأمر عمال الحفائر بإعادة ردم ما كشف واختفت معالم المقبرة تمامًا.

وسبب ذلك أن اللورد كارنرفون كان هو الذي يموّل الحفائر وكان لا يزال في بلاده وأراد الدكتور هوارد كارتر مجاملة له أن يستدعيه ليكون له فخر كشف المقبرة.

فأرسل إليه برقية في ٦ نوفمبر يخطره أنه وفق إلى كشف عظيم في وادي الملوك "مقبرة عظيمة سليمة الأختام" وقد غطّاها لحين حضوره إلى الأقصر.

واستجابة إلى الإشارة البرقية وصل اللورد كارن رفون إلى الأقصر في ٢٣ نوفمبر.

وفي عصر ٢٤ نوفمبر كان ممر السلم قد أعيد كشفه وأمكن معاينة الباب المسدود بحضور اللورد كارنر فون.

ولما أزيلت الأتربة عن هذا الباب لوحظ وجود فتحة جديدة استحدثت فيه بعد سده ثم أعيد غلقها. وعلى هذا الجزء الحديث ختم الجبانة الملكي. أما الجزء الذي لم يمس من الباب فكان عليه ختم ملكي باسم توت عنخ آمون.

إذن فهذه المقبرة للملك توت عنخ آمون.

وأما المقبرتان اللتان سبق كشفهما سنتي ١٩٠٦ و ١٩٠٧ فلا تمتان إليه بصلة.

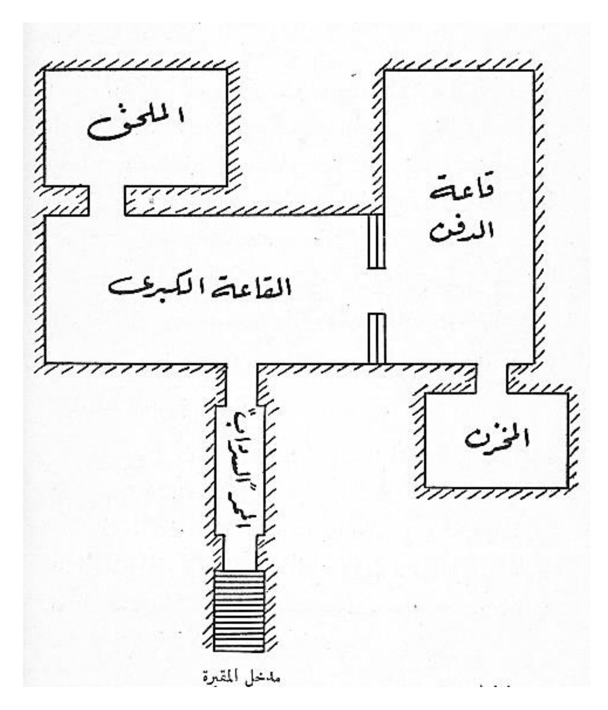
ولكن جدّ أمر محيّر... وجدت بين الأتربة التي كانت تملأ الفراغ بين درجات السلم والسقف قطع من الفخار والصناديق يحمل بعضها اسم أخناتون وسمنخ كارِع وتوت عنخ آمون، كما عثر على تميمة الجعران تحمل اسم الملك تحتمس الثالث وقطعة تحمل اسم أمنحتب الثالث.

فما معنى هذا الخليط من القطع الأثرية التي ينتمي إليها كل منها إلى ملك من ملوك مصر وما علاقة ذلك بالملك توت عنخ آمون.

تسرب الشك إلى قلب المستكشف هل يجوز أن يكون هذا مخبأ عامًا لا مقبرة خاصة.

هل يجوز أن يكون الملك توت عنخ آمون قد أحضر هذه الأشياء من تل العمارنة وأودعها هذا المكان للمحافظة عليها

هذا ما كان عليه الحال مساء ١٤ نوفمبر وفي اليوم التالي أزيل باب المقبرة المسدود والمختوم ووضع مكانه باب حديث من الخشب وذلك بعد أن أخذت رسوم وصور شمسية – فوتوغرافية – للباب والأختام.



رســـــم لمقبرة الملك توت عنخ آمون بوادي الملوك بطيبة

امتد خلف هذا الباب سرداب طويل ينحدر إلى أسفل ارتفاعه نحو مترين وقد ملئ بالأحجار.

وقد وجد بعض هذه الأحجار مختلطًا بالحصى الأسود منقولاً من

مكانه ومختلفًا عن سائر طبقات الأحجار التي تملأ السرداب.

ويدل هذا على أن اللصوص دخلوا المقبرة بعد أن أغلقت من خلال الفجوة التي سرعان ما ملئت بالأحجار.

ويلاحظ أن الفجوة التي وجدت عند الباب الأول تقابل الفجوة التي وجدت عند الباب الثاني وتتخلل طبقات الركام التي ملأت السرداب.

وعند تنظيف السرداب وجدت بقايا الكثير من الأواني الفخارية وكان لا يزال بعضها سليمًا كما وجدت قِرَب للمياه من الجلد.

ولا شك أن هذه هي الأدوات التي استعان بها اللصوص في نهب المقبرة وسرقتها وربما تركوها مضطرين عندما فاجأهم أمناء الجبانة وحراسها متلبسين.

ويعتبر يوم ٢٦ نوفمبر الأيام في تاريخ الكشف.

بدأ العمل في الصباح وكان يسير ببطء وحذر بالنسبة لوجود أشياء صغيرة مختلطة بالأتربة. وفي آخر النهار عثر المنقبون على باب ثان مختوم كان مشابهًا للباب الأول تمام المشابهة.

ولكن الأختام كانت أقل وضوحًا على أنه كان من المستطاع تمييز ختم الملك توت عنخ أمون وختم الجبانة الملكي.

ثم أزيلت الأتربة التي كانت حول الباب فأصبح نظيفًا.

وقف المنقبون أمام الباب المسدود لحظات قليلة وهم الدكتور هوارد كارتر واللورد كارن رفون والسيدة افلين ابنته والمستر كالندر.

ولم يكن ينقصهم إلا مندوب مصلحة الآثار.

ولا شك أنه لم يدع. وبحكم وظيفته كان مفروضًا أن يكون حاضرًا.

ومن المستطاع تقدير المشاعر التي كانت تسيطر على أعصاب المنقبين والهواجس التي كانت تنتابهم والآمال التي كانت تراودهم.

كان الظلام يسود المكان.

وأخيرًا وبيد مرتعشة مدّ الدكتور هوارد كارتر يده وكسر شقًّا في الجزء الأعلى الأيسر من الباب ومد قضيبًا من الحديد خلالها للجس فوجد المكان مملوءًا بالفراغ والظلام.

ولم توجد به أحجار كالتي وجدت في السرداب ثم أضيئت شمعة للإنارة ولاختبار مدى صلاحية الهواء، ثم وسع الشق قليلاً حتى استطاع كارتر أن يمدّ رأسه داخل المقبرة ثم أضاء (بطارية) كهربائية صغيرة وأخذ يجيل النظر. وأطاله..

وكان اللورد كارن رفون ومن معه متلهفين إلى سماع ما يقول —ولكن في الواقع لم يشاهد الدكتور هوارد كارتر شيئًا لأول وهلة ثم بدأت عيناه تعتادان الرؤية في الظلام فشاهد دقائق ما في الداخل تتضح رويدًا رويدًا.

شاهد ما خيل إليه أنه أشكال حيوانات وتماثيل. والذهب.. لقد شاهد لمعانًا في كل مكان.

وكانت هذه فترة طويلة من الزمن لمن كانوا حوله. ولم يتمكن اللورد كارن رفون من أن يتحمل الانتظار أكثر فسأل بلهفة: هل ترى شيئًا.؟

فأجاب: نعم أشياء عجيبة!

فرد عليه اللورد كارن رفون – دعني أر!

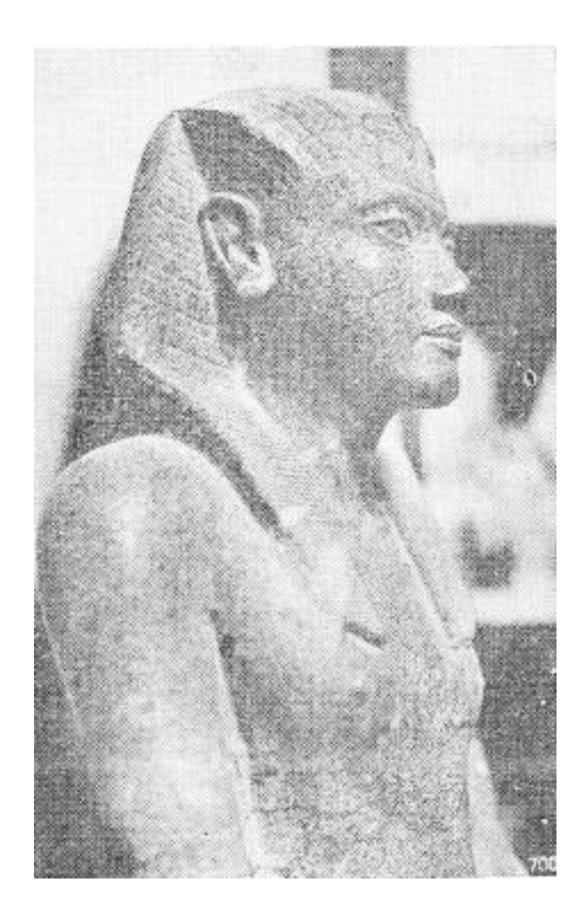
ولكن الدكتور هوارد كارتر لم يتحرك، وانتظر كارن رفون ولكن كارتر لم يتحرك.

وأخيرًا اضطر إلى أن ينزع كارتر من الشق كما ينتزع السدادة من عنق الزجاجة.

وحل اللورد كارن رفون محله ولم يكن أقل عجبًا وحيرة من كارتر وقال:

يخيّل إلي أنني أمام مخزن للملابس في مسرح متنقل مملوء بأشياء عجيبة وأثاث متراكم!

وأخيرًا حشر الدكتور هوارد كارتر نفسه في الشق إلى الداخل لأول مرة منذ نحو ٣،٠٠٠ سنة.



تمثال من الجرانيت للملك توت عنخ آمون

ولما دخل لم يفكر في العودة. وأخيرًا أمرهم بصوته الأجش أن ينتظروا. ثم سمعوا عبارات تعجبه يتجاوب صداها في الظلام وشاهدوا من خلال شق الباب وميض البطارية الكهربائية وهي تنتقل من مجموعة إلى أخرى.

وأخيرًا عاد ليذكر أن المقبرة هي لتوت عنخ آمون دون شك إذ كانت أسماؤه وألقابه منقوشة على الكثير من الأثاث بوضوح تام.

ثم وسعت الفتحة ودخلوا جميعًا إلى المقبرة الملكية وكان أمامهم منظر رهيب في فخامته وغرابته.

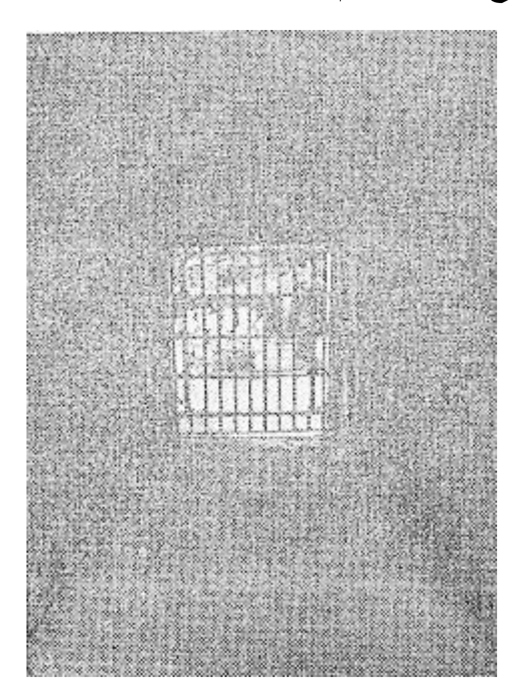
كانت الغرفة التي أمامهم وأبعادها ثمانية أمتار طولاً وأربعة عرضًا وثلاثة ارتفاعًا مملوءة بالكنوز الرائعة، وكان من العسير أن يعتقد أحد أن هذه الكنوز تركت في مكانا منذ ٣،٠٠٠ سنة.

وهكذا كشفت مقبرة الملك توت عنخ آمون.

محتويات المقبرة

تعتبر مقبرة الملك توت عنخ آمون صغيرة الحجم جدّا إذا ما قورنت بغيرها من المقابر الملكية المجاورة لها.

فهي تتكون من مدخل يواجه الشرق عبارة عن ست عشرة درجة من السلم عرضها مائة وستون سنتيمترًا وطولها نحو أربعة أمتار وعند نهاية درجات السلم باب مسدود بالطين سجلت عليه بصمات أختام الملك توت عنخ آمون وأختام الجبانة الملكية.

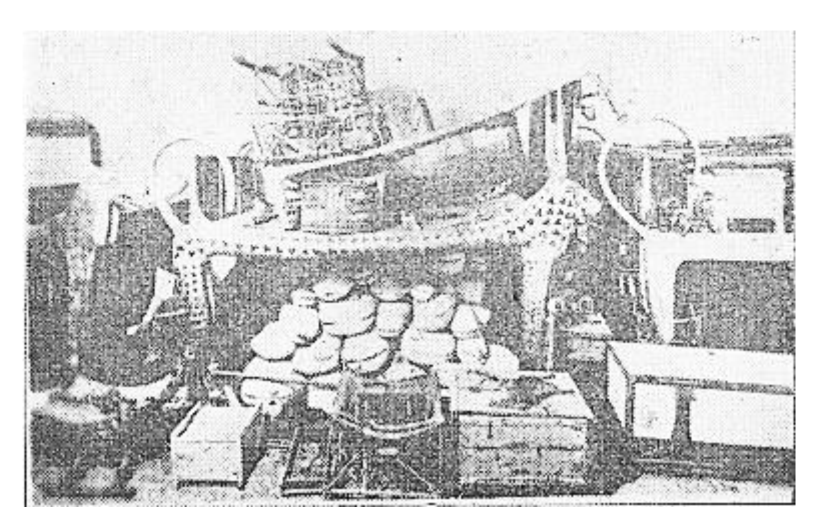


دهليز المقبرة المؤدي إلى الردهة

ويلي هذا الباب سرداب ينحدر قليلاً إلى أسفل، يمتد طوله نحو عشرة أمتار وعرضه نحو مائة وسبعين سنتيمترًا ثم ينتهي السرداب بباب آخر مسدود يماثل الباب الأول ويؤدي إلى ردهة المقبرة وأبعادها ثمانية أمتار طولاً وثلاثة أمتار ونصف عرضًا.

ويواجه السرداب تقريبًا باب يؤدي إلى قاعة صغيرة ألحقت بالردهة وأبعاده أربعة أمتار طولاً وثلاثة أمتار عرضًا.

وفي الناحية البحرية باب يؤدي إلى قاعة الدفن وأبعادها ستة أمتار ونصف طولاً وأربعة أمتار عرضًا. ويتفرع من قاعة الدفن قاعة صغيرة أبعادها أربعة أمتار طولاً وثلاثة أمتار عرضًا أعدت كمخزن للمقبرة.



بعض محتويات مقبرة الملك توت عنخ آمون

ولكن هذه المقبرة الصغيرة التي نحتت على عجل دون ان يتسع الوقت الكافي لتدوين النصوص الدينية المألوفة على جدرانها كما اتبع في سائر المقابر الملكية حوت أوفى وأكمل مجموعة كشفت داخل

مقابر وادي الملوك بطيبة وقد كدست محتوياتها داخل القاعات الصغيرة الأربع حتى كادت تملأ كل فراغها.

***

سبق أن أشرنا إلى أن هذه المقبرة تعرضت للسرقة بعد إتمام مراسيم الدفن ولكن لحسن الحظ لم يوفق اللصوص في نهب المقبرة نهبًا كاملاً لسبب خارج عن إراداتهم ذلك أن حراس الجبانة فاجأوهم متلبسين وقبضوا عليهم قبل أن يتموا عملهم البغيض. ولكن استطاع هؤلاء الأشرار أن يعبثوا بمحتويات المقبرة وينبشوا الصناديق الملأى بالأدوات الجنائزية ويفرغوا محتوياتها كما تسللوا إلى قاعة الدفن أيضًا وسرقوا بعض لفائف من الذهب مزقوها من غطاء المقاصير التي حوت مومياء الملك.

* * *

لأجل أن نلم بمحتويات المقبرة نبدأ بالقاعة الكبرى فإلى يمين الداخل أي من الناحية البحرية نشاهد باقتين من الأزهار والورود في حالة جيدة من الحفظ حتى يخيل إلينا أنهما نضرتان وأنه لم يمض إلا القليل منذ اقتطافهما وليس ثمة شك في أنها آخر ما أودع في المقبرة. وقد تكون المكلة الصغيرة نفسها هي التي قدمت هذه الزهور في نهاية مراسيم الدفن توديعًا للملك الراحل.



حارس قاعة الدفن

ويلي هاتين الباقتين تمثالان كبيران بالحجم الطبيعي وقفا على جانبي الباب المسدود المؤدي إلى قاعة الدفن. وجهًا لوجه كأنهما يحرسان قاعة الدفن وما تحويه من جثمان الملك. وقد مد الحارسان الرجل اليسرى كأنهما يقظان وكل واحد يمسك عصا طويلة في اليد اليسرى وهراوة على شكل الدبوس في اليد اليمنى.

إن هذا يرهب دون شك أي لص من لصوص الآثار يفكر في التسلل إلى قاعة الدفن ويمنعه من الدنو من الباب المسدود لأنه يتوقع

إن هو اقترب من الحارسين أن يطبقا عليه ويضربانه بالعصى وبالهراوة ذات رأس الدبوس الثقيل التي تهشم جمجمة من تهوى عليه.

وقد قصد ذلك تمامًا الذين أشرفوا على وضع هذين التمثالين في مكانهما ويدل هذا على تعمق القدماء في دراسة طبية النفس البشرية.

إن علمنا ذلك استطعنا بسهولة أن نفسر سبب العثور على قطعة من النسيج وجدت على وجه أحد التمثالين، لا شك أن أحد قدامى اللصوص وضعها ليخفي وجه التمثال حتى لا يرى أعمالهم البغيضة ولا يشهد عند محاكمتهم أمام الآلهة في العالم الآخر بأعمالهم الشريرة التي ارتكبوها.

ولنفس هذا السبب عبث لصوص المقابر بعيون التماثيل التي رسمت على جدران الآثار.

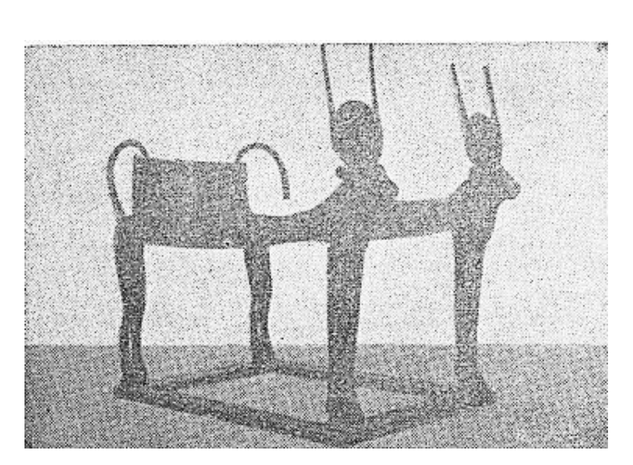
صنع هذا التمثالان من الخشب على هيئة الملك نفسه وكان يغطي الرأس في كل من التمثالين قلنسوة حليت بأشرطة رقيقة من الذهب. أسدلت على الكتفين وقد زين الجبهة الصل وهو الثعبان الحارس كما أنه شارة الملك وعلامته كما زين صدر التمثال الحارس عقد من الذهب وجمّل الذراعين أساور من الذهب أيضًا كما ارتدى النقبة وانتعل خفًا من الذهب.

وقد طعّمت العيون بحجر الأبسيديون الأسود اللامع. أما إنسان العين في الوسط فمن الحجر الصخري الأبيض حتى أنها لتبدو كأنها طبيعية. أما الحواجب فصيغت من الذهب. أما سائر أعضاء الجسم

كالوجه والجزع والأطراف فقد دهنت بالطلاء الأسود اللامع الذي يشبه في لمعانه القار.

وإلى جانب تمثال الحارس الذي على اليسار سرير كبير هو أحد أسرّة ثلاثة متجاورة بجانب الجدار الغربي للقاعة الكبرى وقد صنعت من الخشب المذهب.

فالسرير الأول صنع على هيئة اللبؤة والثاني على هيئة البقرة والثالث على هيئة جاموسة البحر. وهذه الحيوانات ذات رموز دينية للمعبودات سخمتوحاتحور وتا أورت ونظرًا لأن لهذه المعبودات علاقة بالعالم الآخر فإن الغرض الأساسي منها هو حماية الميت من الأرواح الشريرة.



سرير جنائزي على هيئة البقرة حاتحور

وليس بصحيح ما كان يظنه بعض علماء الآثار من أن هذه الأسرّة كانت من بين أثاث القصر الذي كان يستعمله الملك أثناء حياته. فقد وردت رسوم مماثلة لهذه الأسرّة الجنائزية على جدران المقابر الملكية

المعاصرة نذكر منها مقبرتي حر محب وسيتي الأول.

وتعتبر هذه الأسرّة من أروع القطع التي عثر عليها من بين محتويات الملك توت عنخ آمون. ويتكون كل منها من أربعة أجزاء مستقلة ثبتت معًا بوساطة خطافات وحلقات من البرونز لا يشك من ينظر إليها في أنها حديثة العهد اللهم إلا عين الخبير. وأجزاء السرير هي:

الفراش وهو مصنوع من شبكة من الألياف المجدولة والحبال المشدودة إلى إطار من الخشب.

الجانبان الطويلان وكل منهما على هيئة الحيوان الذي ينتمي إليه السرير.

الإطار الخشبي الذي ثبتت عليه قوائم الحيوان.

وكان السرير الذي على هيئة اللبؤة مواجهًا للجدار الفاصل بين القاعة الكبرى وقاعة الدفن وبرغم أن وجه الحيوان كان صلدًا فإنه كان معبرًا. أما الجسم فكان طويلاً والذيل ممتدًا على شكل دائرة غير كاملة الاستدارة.

وعلى هذا السرير الذي على شكل البقرة ويزينه قرنان طويلان بينهما قرص الشمس أما الجسم فمنقط بنقط كبيرة مستديرة أما الذيل فهو أيضًا على شكل دائرة، ويلي هذا أيضًا السرير الذي على هيئة جاموسة البحر.

وقد رسمت رأس الحيوان في منتهى الدقة فالفم مفتوح تدلى منه

لسان من العاج أما الأسنان فمن المرمر. وكانت الأذنان مرفوعتين إلى أعلى.

وبجوار هذه الأسرة وفوقها وتحتها وضع الكثير من محتويات المقبرة فعلى أرضية الردهة انتثرت عدة أوان من المرمر وبقايا حصير وأعواد من سيقان البردي وطبق مستدير كبير من القش المجدول يماثل النوع الذي لا يزال يستعمل إلى اليوم في ريف مصر والواحات.

وفوق السرير الأول الذي على شكل اللبؤة سرير آخر من الخشب أقل منه فخامة ولا علاقة له بالطقوس الجنائزية بل كان للاستعمال العادي.

وفوق هذا السرير عثر على مجموعة كبيرة من الأقواس.

وفي الفراغ الذي بين السرير عثر بالقرب من تمثال الملك الحارس على (شمعدانات) على شكل علامة الحياة "عنخ" ولا تزال فتيلة الشمعة في أحدها. كما عثر على صندوق من الخشب ذي نقوش طعمت بالعا والأبنوس.

وتحت هذا السرير كدست مجموعة من الصناديق ذات الأشكال والأحجام المختلفة المصنوعة من أندر أنواع الأخشاب وأفخرها ومجموعة أخرى من الكراسي بعضها بدون مسند للظهر ولبعضها الآخر مساند وأذرع جانبية. وكذا مجموعة مكونة من أربعة أوان من المرمر الشفاف.

وفوق السرير الثاني الذي على شكل البقرة، سرير آخر وضع عليه كرسي من الخشب والقش له مسند وبضعة كراسي ذات مقاعد مقوسة.

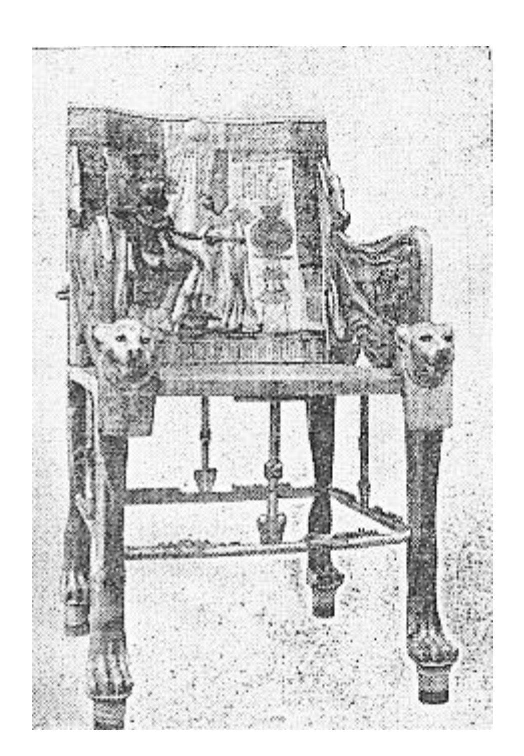
وفي الفراغ الذي بين السريرين صندوق مستدير عليه نقوش بالعاج والأبنوس وعجينة الزجاج "الفيانس" وسائر الألوان.

وتحت السرير الذي على هيئة البقرة الكثير من الصناديق الصغيرة التي يزيد عددها على الثلاثة وكانت تحتوي على اللحوم المحفوظة وأطراف الذبائح والطيور وغيرها من الأطعمة والقرابين اللازمة لروح الميت.

وعلى أرض القاعة الكبرى بين السريرين اللذين على هيئتي البقرة وجاموسة البحر وجد صندوق من الخشب ومقعد من الخشب والقش بدون مسند وصندوق مستطيل صغير وعلى غطاء الصندوق الأول عثر على عقد من حيات الزجاج (الفيانس) ودلايات وعلى عدة خواتم من الزجاج الأزرق اللون داخل خرقة من نسيج الكتان.

وبين قائمتي السريرين مقعد صغير بدون مسند من خشب الأبنوس المطعم بالعاج كجلد الفهد لمنقط. أما الأرجل فعلى شكل رقاب الأوز وتنتهي برؤوسها.

وفوق السرير الذي على هيئة جاموسة البحر صندوق كبير من الخشب وتحت السرير كرسي العرش وهو من أجمل القطع التي عثر عليها داخل مقبرة الملك توت عنخ آمون وهو



كرسي العرش من أروع كنوز الملك توت عنخ آمون

مصنوع من الخشب المغطى برقائق الذهب والفضة ورصّع بعجينة الزجاج الأزرق وزينت مساند الكراسي بأشكال تمثل حيات مجنحة وصنعت القوائم على شكل قوائم الأسود التي اتخذت رؤوسها كمساند.

وقد نقشت على ظهر الكرسي بالحفر زخارف تمثل الملك توت عنخ آمون جالسًا في بلاطه تحت قرص الشمس "آتون" معبود تل العمارنة الذي يرسل على الزوجين أشعته المملوءة بالحياة بينما تقترب منه زوجته عنخ اس اتن ابنة الملك أخناتون والملكة نفرتيتي وتتقدم نحوه في رشاقة حاملة في إحدى يديها إناء عطر صغير وتلمس باليد الأخرى كتفه في رقة عاطفية بالغة.

ولكرسي العرش موطئ للأقدام من الخشب المذهب المكسو بالميناء الزرقاء وقد نقش عليه أسرى موثوقون بالحبال يطأهم الملك بقدميه عند جلوسه على كرسي العرش.

وعلى يسار الداخل إلى القاعة الكبرى للمقبرة عثر على أربع عربات من ذات العجلتين وهي مفككة وموضوعة في غير ترتيب أو نظام وذلك نتيجة لعبث اللصوص الذين تسللوا إلى المقبرة واغتصبوها، وكانت مقلوبة رأسًا على عقب في ركن الردهة وبجوارها قريبًا من المدخل أربع عجلات كانت مزينة بالذهب وضعت الواحدة بجانب الأخرى. أما بقية العجلات فكانت مغطاة بكثير من الركام.

كانت سلة أكبر هذه العربات على هيئة دائرة غير كاملة ومصنوعة من الخشب المذهب اللامع ومحلاة بنقوش جميلة ورسوم حليت بأحجار كريمة من العقيق والملاكيت واللابس لازولي وعجينة الزجاج الأزرق اللامع والمرمر وبذلك كانت حليتها مكونة من الألوان الأحمر والبني والأخضر والأزرق والأبيض المموه بالذهب في انسجام تام.

أما الطبقة الداخلية من العربة فكانت من الذهب وقد نقش عليها اسم الملك توت عنخ آمون واسم الملكة زوجته داخل خراطيش ملكية وكانت أطراف العربة بما فيها الجزء الأمامي مغطاة بالجلد الملون باللون الأحمر الزاهي ورسم في المقدمة الأسرى الآسيويون والزنوج.

وكانت بقية العربات أصغر حجمًا واكتفى بأن ينقش عليها اسم

الملك وحده على إحداها نقشت رسوم تمثل صفوفًا من الأسرى الموثوقين، وقد مثل الملك على شكل أسد له رأس إنسان يطأ بأقدامه أعداء مصر التقليديين.

وانتثرت بين العربات والعجلات عدة أوان من المرمر وبضعة صناديق وسلال من الغلال قدمت كقرابين لروح الميت وقد أفرغها اللصوص على أرض المقبرة لذلك كان يشاهد الغلال مكومًا في أكوام صغيرة وبجواره السلال فارغة مقلوبة.

كذلك عثر بجانب الجدار القبلي للردهة – تحت السرير الذي على هيئة جاموسة البحر على هيكل صغير من الخشب على شكل ناووس مصفح برقائق سمكية من الذهب ذات نقوش رائعة – وكان باب الناووس مفتوحًا وداخله فارغًا. ولا شك أنه كان يحوي تمثالاً من الذهب إما للملك نفسه أو لأحد المعبودات ولكن اغتصبه اللصوص.

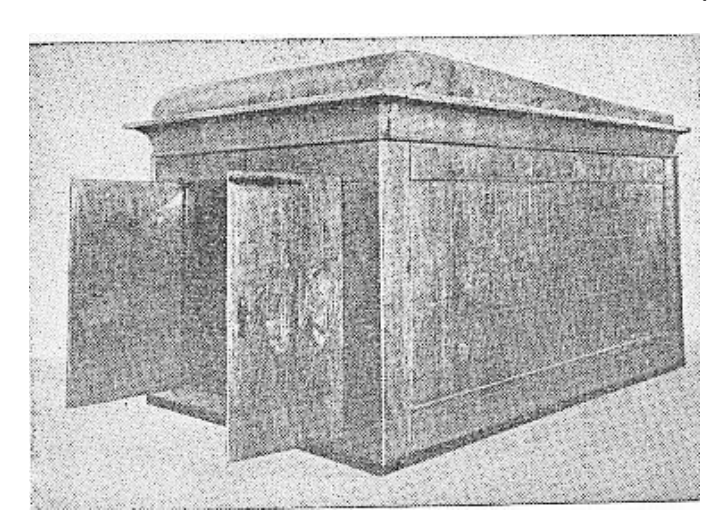
وتحت العربات المقلوبة بجانب ركن الجدار عثر على تمثال ملكي نصفي بالحجم الطبيعي كان ملونًا واضح المعالم دقيق التعبيرات رائعًا ويتوج الرأس التاج الذي ارتدته الملكة نفرتيتي من قبل.

ومن الطريف أن المستكشف ارتاع عندما سلط على التمثال ضوء بطاريته الكهربائية إذ خيل إليه أنه شخص مختبئ يتربص به، وينظر إليه بعينيه الواسعتين.

وقد سلط من جديد ضوء "بطاريته" صوب التمثال وجثم على الأرض يحملق، ومرت لحظة رهيبة قبل أن يسترد أنفاسه.

عشر داخل قاعة الدفن على مجموعة تتكون من أربع مقاصير متداخل بعضها في بعض كادت تشغل كل فراغ القاعة.

والمقصورة الخارجية هي أكبرها حجمًا وقد صنعت من الخشب المغطى بطبقة من الذهب والقاشاني "والطوب" المطلى بالمينا وقد حليت زواياها الخارجية بتماثيل للمعبودات إيزيس وأوزيريس وقد نقش عليها نقوش جنائزية ومناظر من العالم الآخر على الجوانب الداخلية والخارجية وفي زوايا جدران هذه المقاصير الداخلية كتابات بالهيروغليفية وإشارات تساعد على ضم وتركيب أجزائها المختلفة بعضها إلى بعضها الآخر.



إحدى المقصورات التي كانت تضم مومياء، الملك توت عنخ آمون

ويماثل هذا تمامًا ما يفعله صناع الأثاث حديثًا.

وأبواب هذه المقاصير ذات أقفال ومزالج من الأبنوس وحلقات معدنية طليت بالفضة وفي بعض المقاصير حلقتان شد بعضها إلى بعض

بوساطة حبل ربط طرفاه ثم ختم في النهاية وقد عثر في حلقتي كل من المقصورتين الثانية والثالثة على حبال مختومة استمرت تقاوم عوامل البلى منذ أن تمت مراسيم الدفن إلى أن كشفت المقبرة، وبذلك يكون قد مضى عليها بحالتها هذه نحو ٣٣٥٠ سنة!

وعلى إحدى جوانب المقصورة الأولى حفر رسم عينين على لوح مذهب حتى يستطيع الميت أن يشرف من خلالهما على العالم الخارجي.

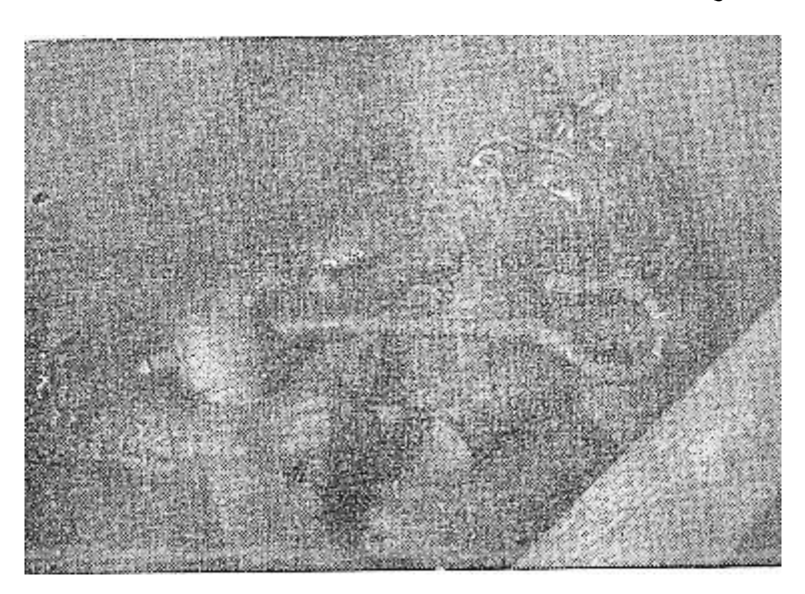
كان داخل هذه المقصورة ثلاث مقاصير تتدرج في صغر الحجم.

وفي داخل المقصورة الرابعة وجد تابوت الملك وهو من الحجر الرملي المتبلور ذي اللون الذهبي نقشت على زواياه الأربعة آلهة مجنحة:

وقد ترك هذا التابوت بوادي الملوك بطيبة حيث لا يزال جثمان الملك توت عنخ آمون راقدًا منذ وُرِيَ داخل التابوت الأول الذي على شكل آدمي المصنوع من الخشب المذهب على هيئة الملك وعليه زخارف مطعمة بعجينة الزجاج المتعدد الألوان بين الأحمر والأزرق الفاتح والأزرق الغامق. وتكسو الرأس واليدين طبقة سميكة من الذهب وهو يمسك في يديه الصولجانات وعلى جبهته الشعار الملكي.

أما التابوت الداخلي الذي يحوي جثمان الملك فهو من الذهب الصافي ويبلغ وزنه مائة وعشرة كيلو جرامات تقريبًا وهو يعتبر بحق تحفة

فنية لا مثيل لها في الإتقان والجمال والروعة وهي تمثل الملك على هيئة أوزيريس إله الموتى وقد ضم ذراعيه متقاطعتين إلى صدره وأمسك بالصولجانات وحليت جبهته بالعقاب والصل شعار الفراعنة كحكام على الصعيد والدلتا.



مومياء، الملك توت عنخ آمون في التابوت

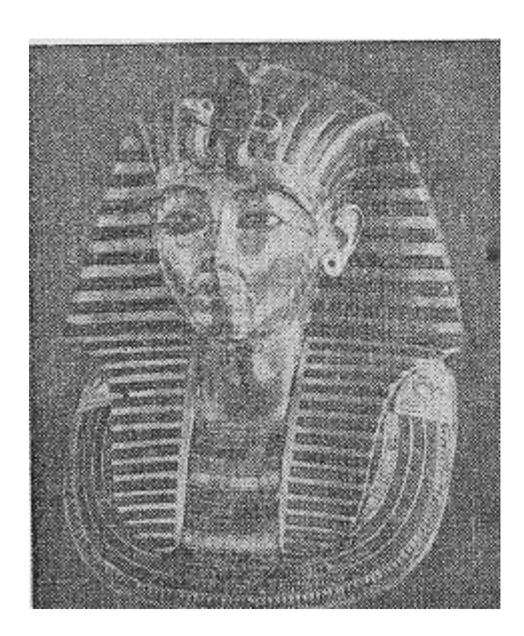
هذا وقد تحلى جيده بعقد مزدوج يتألف من أقراص رقيقة بعضها من الذهب الأحمر والأصفر وبعضها من المينا الزرقاء، وقد أحاط بجسمه معبودا الصعيد والدلتا العقاب والثعبان المجنح وكلاهما ناشر جناحيه المصنوعين من رقائق الذهب الخالص ومن الأحجار والزجاج المنتظمة في أسلاك من الذهب.

وفي النصف الأسفل من التابوت بسطت الإلهتان إيزيس ونفتيس جناحيهما على ساقي الملك لحمايته.

أما التابوت الثاني وقد كان داخله التابوت الذهبي السابق ذكره فقد كان موضوعًا داخل تابوت آخر أكبر منه حجمًا موجود الآن بمقبرة الملك بطيبة وهذا التابوت مصنوع من الخشب المغطى برقائق الذهب ومرصع بزجاج مختلف الألوان.

والطبقة الذهبية التي تكسو الرأس واليدين أسمك من الرقائق الأخرى التي تغطي بقية التابوت وصورة الملك في هذا التابوت السابق، وقد بسطت ألهتا الصعيد والدلتا أجنحتهما فوق صدره حماية له.

وكان يغطي المومياء عند الرأس والكتفين قناع من الذهب الخالص وهو صورة رائعة للملك بلغ حدًا كبيرًا من صدق التعبير وجمال التقاطيع وقد غطيت الرأس بالقلنسوة المزركشة بخطوط من الزجاج الأزرق المرصع وفوق الجبهة الشعار الملكي العقاب والحية. وقد صنعت الحواجب والجفون من اللازورد وقد زين الصدر بعقد كبير مرصع بالزجاج والأحجار الكريمة ينتهي طرفاه اللذان يعقد بهما برأس صقر بلغت صناعته حد الإعجاز.



القناع الذهبي الذي كان يغطي مومياء الملك توت عنخ آمون

أما لحية القناع فهي من الذهب والزجاج الأزرق الرائع اللون وقد وجد على رأس مومياء الملك نفسه التاج الملكي وهو مكون من عصابة للرأس مرصعة بالعقيق ومزينة بدوائر صغيرة من الذهب على شكل الورد، وقد ثبتت فوق التاج من الأمام الشعار الملكي العقاب والحية.

وتربط طرفي العصابة من الخلف دائرة من الذهب تحفها زهرتا لوتس وذلك بمثابة أنشوطة "مشبك" للعصابة ومن هذه الجهة يتدلى شريطان من الذهب مزخرفان كزخرفة العصابة، وثمة شريطان آخران من الذهب يتدليان ثم يثبتان وينتهي كل منهما بحية ملكية.

وقد وجد حول مومياء الملك وداخل صناديق الأثاث أفخر وأثمن مجموعة من الجواهر وهي تزين الآن قاعة الجواهر بالمتحف

المصري.

وتشمل هذه الجواهر حليًا من الذهب الخالص للصدر وقد رصعت بعجينة الزجاج الملوّن والأحجار نصف الكريمة كما تشمل أساور وخواتم وخناجر من الذهب ومجموعات أخرى من الأقراط المصنوعة من الذهب والمحلاة بالجواهر الثمينة وأدوات الكتابة وصناديق المرايا والحلي والأساور والقلائد من الذهب المطعم بالأحجار وعجينة الزجاج المختلف الألوان.

وكان يزين مومياء توت عنخ آمون خمس حليات علقت إلى العنق ويحلي اليد اليسرى، سواران من الذهب وأساور أخرى عددها ثلاث عشرة بلغت صناعتها حد الكمال في تناسق تام وانسجام جميل.

وقد عثر بين المقاصير الملكية وبين الحائط الشمالي لقاعة الدفن على نماذج لعشرة مجاديف لاستعمالها أثناء تعدية المركب المقدسة عندما تحمل الملك إلى العالم الآخر وعلى مقصورتين صغيرتين فوق قاعدة من الخشب الملوّن بالأسود اللامع بينهما إناء على شكل الإشارة الهيروغليفية "حس" وذلك في الركن الشمالي الشرقي للمقبرة.

أما في الركن الشمالي الغربي المواجه فقد عثر على مقصورتين متماثلتين وجد داخلهما إناءان من عجينة الزجاج الأزرق ملئ أحدهما بالبطرون والآخر بمادة الصودا الطبيعية –الراتج– وبينهما رمز لريشة العدالة من المرمر. وجدت بجوارها علامة المعبود أنوبيس معلقة على عمود ومغطاة بنسيج من الكتان، ويشبه العمود ساق نبات اللوتس وقد

أقيم فوق قاعدة من المرمر وطول العمود نحو مترين وهو من الخشب المغطى بالجص المذهب.

وأمام أبواب مقاصير الدفن عثر على إناء للعطور كان يستعمله المكان دون شك، وهو من المرمر نصف الشفاف وقد صنع على شكل الكلمة المصرية القديمة "سما" التي تعني الاتحاد.

والإناء عبارة عن قطعة فنية لا مثيل لها حليت بالذهب والعاج الملون ومكونة من أربعة أجزاء فالغناء الأوسط يحيط به من الجانبين أيضًا علامة الاتحاد وعلى جانبي الإناء تمثالان لمعبود النيل "حابي" وهما يقبضان بأيديهما على سيقان نبات البردي واللوتس الملتفين حول عنق الغناء والمتدليين على الجانبين.



إناء اللورد "زهرية" من المرمر حلية معناها الاتحاد

وقد جثمت فوق قمة الغناء المعبودة "موت" على شكل طائر يتوجها تاج أوزيريس المركب المسمى آتف وقد نشرت أجنحتها.

أما القاعدة فإنها ترتكز على أربعة أرجل وقد مثّل عليها الصقور وهي المعبودات المعروفة تحمي بأجنحتها أسماء الملك المنقوشة فوق إشارة "نوب" التي تعني الذهب.

وفي الغرفة المجاورة لقاعة الدفن وجد ناووس من الخشب يماثل المقاصير الملكية ويعلوه إطار مكون من الأصلاص وتحميه آلهة على هيئة تماثيل منفصلة أمام الجوانب وهي تعتبر من أجمل التماثيل المعروفة.

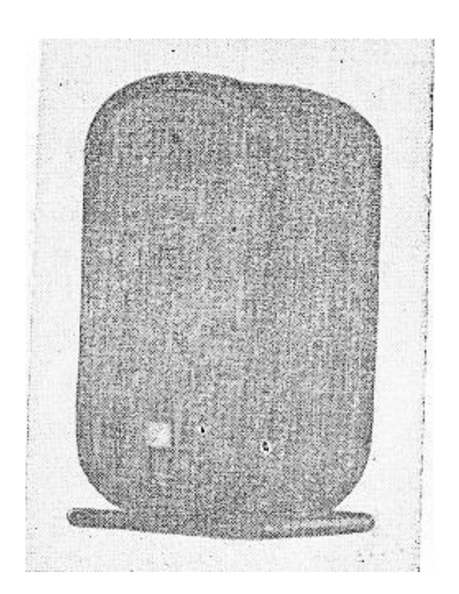
وكان داخل هذا الناووس صندوق من المرمر قسّم داخله أربعة أقسام وضع في كل قسم منها تابوت دقيق الحجم من الذهب الخالص المرصع بالأحجار الكريمة كانت تحوي أحشاء الملك المحنطة في لفائف من الكتان وقد غطيت عيون الصندوق المرمري بأربعة رؤوس من المرمر بديعة الصنع على هيئة الملك نفسه.

وبين هذا الناووس وبين مدخل الغرفة وضع صندوق من الخشب المذهب والملوّن بأجمل الألوان أعد ليحمل على الأكتاف بوساطة قضبان من أمام ومن خلف وهو على شكل مقصورة ربض فوقها الإله أنوبيس كأنه يحرس أحشاء الملك من اللصوص والمغتصبين وقد وجد داخل هذا الصندوق الكثير من الجواهر والتمائم والأواني الملأى بالزيوت المقدسة.

وعثر داخل هذه الحجرة على عدة نماذج لسفن – منها أنموذج لسفينة من الخشب الملوّن جهّزت بالشراع والحبال لتكون على استعداد لنقل روح الميت إلى العالم الآخر.

وبين مقصورة أنوبيس وناووس الأحشاء الملكية ربضت على أرض الغرفة رأس بقرة، رمز المعبودة حاتحور وهي من الخشب المدهون بطلاء أسود لامه ومذهب. أما القرنان فمن النحاس الأحمر وهما كبيران ومفتوحان من أعلى وهي قرون الأبقار المصرية المعرفة باسم "إيحو".

وفي هذه الغرفة عثر على مجموعة رائعة من الصناديق أجملها صندوق على هيئة خرطوش من الأبنوس والخشب الأحمر كتبت عليه اسم الملك وألقابه وكذلك النقوش بالعاج الملون والأبنوس مطعما في الخشب.



صندوق على هيئة خرطوش يحوي اسم الملك توت عنخ آمون وألقابه

وأروعهما صندوق ذو صناعة فاخرة من الخشب النادر حليّت جوانبه وغطاؤه بصور ملونة لم يسبق لها مثيل في الفن المصري القديم، فعلى أحد جوانب الغطاء نجد الملك توت عنخ آمون راكبًا عربته يصيد الغزلان والنعام وغيرها من الحيوانات وعلى الجانب الآخر نجد الملك يصيد الأسود في الصحراء.

وعلى أحد جانبي الصندوق الكبيرين يرى الملك في معركة ضد أعدائه الساميين منتصرًا وعلى الجانب الآخر نقوش تمثله في معركة منتصرًا على أعدائه من الزنوج.

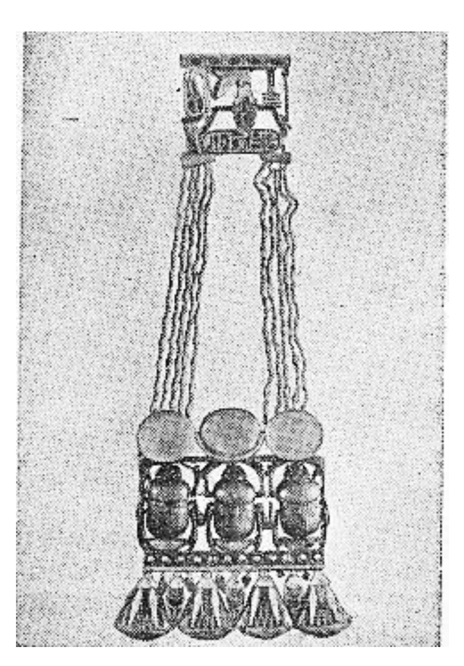
وعلى جانبي الصندوق الصغيرين نرى الملك في صورة أبي الهول بادي القوة والجبروت يطأ أعداءه تحت قدميه.

وداخل صناديق صغيرة من الخشب على شكل هياكل وجدت تماثيل صغيرة لمعبودات مثل أوزيريس وإيزيس وهورس وبتاحوسخمتونفتيس وجب وآتوم.. وغيرها. والغرض من هذه التماثيل هو حماية الميت.

كذلك وجدت تماثيل صغيرة للملك نفسه إما بمفرده أو بين الآلهة.

وقد عثر أيضًا على مجموعة من قلائد وحلي الملك منها القلادة المسماة "أوسخت" ومعناها القلادة الكبيرة وقد صيغت على شكل الشارتين الدالتين على ألقاب الملك وهما "هورس" ورمزه الصقر وهي تعني أن الملك ابن الشمس، ولقب ذي التاجين ورمزه العقاب والصل.

ونظرًا لأن هذه القلادة كبيرة الحجم ثقيلة الوزن فقد عمل لها ثقل مضاد يتدلى فوق الظهر لكي يحفظ توازن القلادة وقد لوحظ على بعض أجزاء هذه القلادة وجود علامات دقيقة أثبتها الصانع القديم حتى ينتفع بها عند تركيب أجزائها المختلفة.



قلادة من الذهب والأحجار الكريمة تحوي اسم توت عنخ آمون

وقد صنعت القلائد والحلي من صفائح الذهب الخالص المرصّع بالأحجار الكريمة وحبات الزجاج الملوّن ومعظمها على هيئة الصل المجنح والصقر ناشرين أجنحتهما على شكل هلال وقد قصد برسمهما معًا رمز سيطرة الملك على إقليمي الوادي: الصعيد والدلتا.

أما مجموعة الأقراط وكانت تحلي آذان كل من الملك والملكة على السواء فمعظمهما من الذهب والأحجار الثمينة وكانت تعلق في

الأذن بوساطة أنابيب صغيرة من الذهب تولج في أنابيب أكبر حجمًا ثم تشبك بوساطة أقراص في نهاية هذه الأنابيب. وهذه الأقراط وإن كانت تختلف في الحجم إلا أنها تتحد في جمال الشكل وروعة الزخرف.

أما في الحجرة الملحقة بالردهة الكبرى فقد كدست كميات من السلاسل من مختلف الأشكال فمنها الكبير ومنها الصغير ومنها ما قسّم داخله إلى عيون.

كذلك عثر على سرير من الخشب كسي بصفائح سمكية من الذهب أما الجزء المخصص للنوم فيتكون من شبكة من الألياف المجدولة والحبال المشدودة إلى إطار من الخشب حتى تكون لينة مريحة عند النوم، وبجواره سرير آخر قابل للطي كان يستعمل أثناء الرحلات أو في المخيمات.

وقد لوحظ أن المفصّلات التي تربط أجزاء السرير أثناء الطي تعتبر من أحدث طراز للمفصّلات ويمكن الآن طي هذا السرير بسهولة رغم مرور أكثر من ٣،٠٠٠ سنة منذ أودع المقبرة.

كذلك عثر على كثير من جرار النبيذ المختومة وأوان من الفخار نقش على واحدة منها بالكتابة الهيراطيقية أنها كانت تحتوي على صنف جيد للغاية من عصير العنب غير المختمر من معبد آتون، ونقش على غيرها أنها كانت تحتوي على عطر وقمح ونبق وبندق وعنب وشهد من نوع جيد وعلى أوان من المرمر كتبت عليها بالهيراطيقية أسماء الزيوت التي كانت تحويها، وقد شوهد بسداد جرار النبيذ ثقوب صغيرة حتى

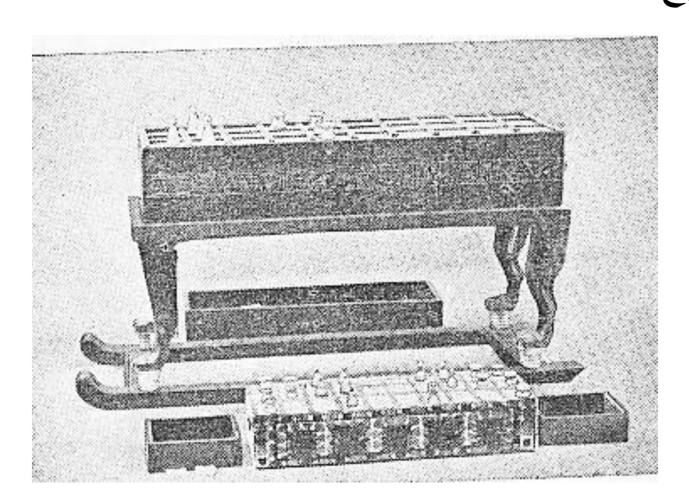
تتسرب منها الغازات الناشئة عن التخمر.

وقد وجد ت مجموعة من مساند الرأس حفرت على بعضها أشكال لرؤوس المعبود "بس" وآخر للمعبود "شو" حاملاً الجزء المقوس الذي يضع عليه النائم رأسه وحوله أسدان وهذان المسندان من العاج والقاشاني.

وثمة مسند آخر على شكل كرسي يطوى من عاج مصبوغ ومزخرف ومحلى بوجهين للإله بس.

وقد وجدت مجموعة من أدوات اللعب. وكان الشطرنج أقدم أنواع اللعب التي مارسها قدماء المصريين.

وكانت رقعة الشطرنج تقسّم عشرة مربعات طولاً وثلاثة عرضًا، وكانت تلون باللونين الداكن والفاتح على التوالي كما هو الحال في رقعة الشطرنج الحديثة.



الشطرنج أقدم أنواع اللعب التي مارسها قدماء المصريين

أما قطع اللعب فهي ذات أشكال متعددة. أما لونها فهو عادة أسود وأبيض من العاج والأبنوس وإحدى رقعات اللعب ذات أربع قطع صغيرة من العاج تقوم مقام زهر النرد، وهي بيضاء من أحد وجهيها وسوداء في الوجه الآخر. وتتوقف قيمة الرمية على نسبة عدد الجوانب البيضاء إلى السوداء.

وفي لعبة أخرى يتوقف اللعب على كيفية وقوع قطعة من عظم الكعاب.

ولا يزال اللعب بهذه الكيفية يلهو به أبناء الصعيد وقد استبدلوا بقطع العاج شرائح من جريد النخل ذي اللونين الأخضر والأبيض.

وقد عثر على جهاز لقدح النار وإشعالها وهو عبارة عن قطعة مسطحة من الخشب بها عدة ثقوب على جوانبها.

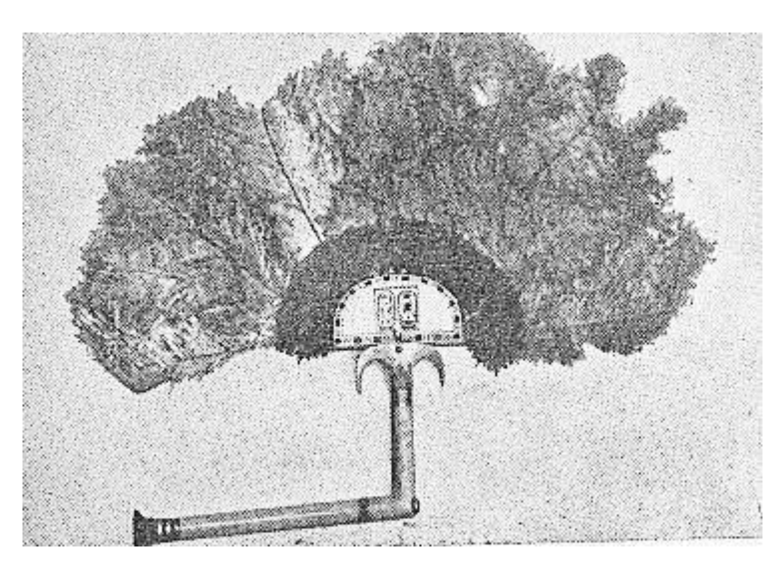
وبوساطة قوس يثبت في نهاية قطعة صغيرة من الخشب الجاف توضع في أحد الثقوب ثم تدار بسرعة بوساطة القوس فتتولد من الاحتكاك شرارة تشعل خرقة تورى بها النار.

وقد عثر على مقابض لمراوح كسي بعضها بالذهب وعليها أسماء أخناتون وبعضها مزخرف بلحاء الشجر ولبعضها يد تنتهي بكرة مستديرة حتى يسهل استعمال المروحة دون مجهود يذكر ولا يزال ريش النعام عالقًا ببعض المراوح وبعضها في حالة جيدة بل وفي منتهى الفخامة.

كذلك عثر على مراوح للحفلات حليت بالأسماء الملكية

يحميها عقابان يلبس أحدهما تاج الوجه القبلي والآخر تاج الوجه البحري وقد حلي بعضها بنقوش بارزة من بينها مناظر النعام في صحراء عين شمس.

ومن أظرف التحف عمود من البوص ملبس بالذهب والفضة كان يستعمل كعصا وفي طرفه الأعلى نقوش ذكر فيها أن الملك قطع العود بيده.



مروحة لا تزال صالحة للاستعمال

وقد عثر على زهرية على شكل مركب ذي ناووس فوق قاعدة وهي من المرمر الشفاف ولا شك أن هذه التحفة الرائعة كانت تزين أبهاء القصر الملكي.

يحرس الناووس فتاة من الأقزام على رأسها شعر مستعار غريب الشكل لها قدمان مشوهتان ومنحرفتان إلى الداخل.

ومما يجدر ملاحظته فخامة الصناعة ورشاقة جلسة الفتاة التي في المقدمة، وهذه القطعة من المرمر المطعم بمادة ملونة.

أما القرون فهي قرون وعلين وقد انتزعت من حيوانات صغيرة.

وقد عثر أيضًا داخل المقبرة على جثتين لطفلين لم يتما الأشهر الرحمية اتشح من الكشف الطبي أن عمر إحداهما سبعة أشهر والأخرى خمسة أشهر والغالب أنهما لطفلتين.

لم يذكر التاريخ أن توت عنخ آمون أنجب أطفالاً ولم تشر النصوص إلى ذلك.

فهل هما أبناء توت عنخ آمون؟

قد يكشف لنا التاريخ سر هذا الأمر الغامض!

وداخل التابوت الثالث – وهو من الذهب الخالص. وجد جثمان الملك توت عنخ آمون وكانت الجثة لاصقة بالتابوت وتعذر إخراجها أو انتزاعها دون إلحاق تلف بها. لذلك فحصت وهي في التابوت.

وجدت اللفائف في حالة عطب شديد ولذلك قُوِّيَتْ بوضع طبقة خفيفة عليها من الشمع السائل ولما رفعت اللفائف الخارجية وجد أن الطبقة التي تليها مفحمة وفي حالة انحلال لذلك كان من العسير فكها. لذلك نزعت اللفائف وظهر الجزء الأسفل من جسم الملك وبفحص الهيكل العظمي وجد أن النمو الطبيعي للملك لم يكمل بعد وظهر أن المومياء لشاب في دور المراهقة توفي وسنّه لم تتجاوز الثامنة عشرة

وكان الجسم في حالة هزال عظيم.

أما الكنوز التي وجدت حول الجثة الملكية فهي مجموعة فريدة من التمائم والزخارف الملكية والحلي الشخصية ذات صناعة دقيقة تشهد بسلامة الذوق، وعلى الصدر حيث كانت اليدان مطوتين عثر على جعرانين كبيرين من الذهب وعلى جانبيه سيفان بقبضتين من الذهب ورمحان كما عثر على عدد كبير من الصدريات المرصعة المختلفة الأحجام وكان يتخللها عدد كبير من التمائم.

ومن هذه الصدريات اثنتان جديرتان بالإشارة إليهما إحداهما على هيئة الصقر والأخرى على هيئة الثعبان.

وتحت هذه الصدريات وجدت صدريات أخرى أصغر من الأولى – بعضها على هيئة جعارين مجنحة أو العيون المقدسة وقد رصع أحدها على هيئة نسر طائر ذي شكل مألوف، بأحجار اللازورد والعقيق الأحمر.

وقد وجد على ذراعي الملك أحد عشر سوارًا نفيسًا وثلاثة عشر خاتمًا من الذهب ومن مختلف المعادن.

وقد وجد حول الوسط حزامان علق على كل منهما خنجر ذو صناعة رائعة.

وقد وجد بين ساقي المومياء مئزر مصنوع من الذهب المرصع.

وقد وجد في القدمين حذاء على هيئة صندل من الذهب.

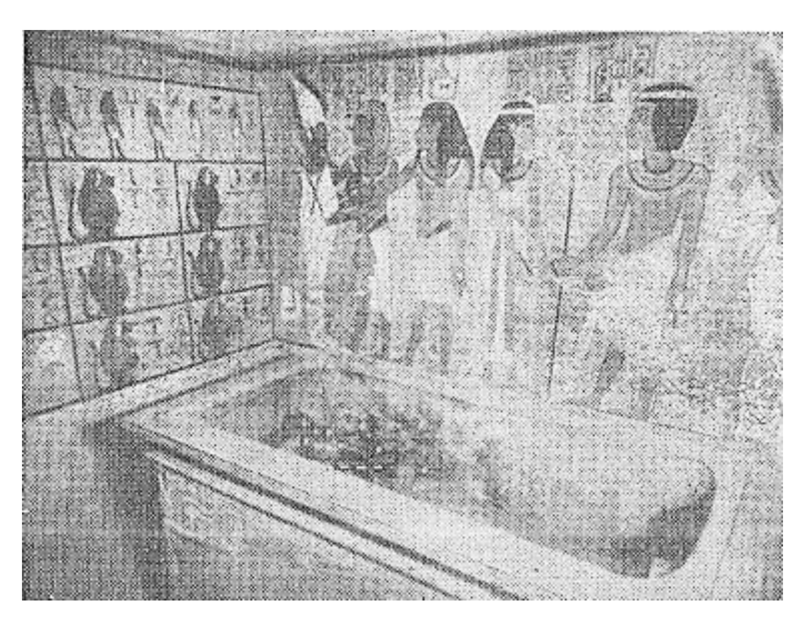
وأما أصابع القدمين فقد غطيت بأغطية من الذهب.

هذا غير عدد كبير من التمائم الغرض منها المحافظة على الملك في رحلته إلى العالم الآخر.

وكان يغطي الرأس والكتفين القناع الذهبي وهو على هيئة الملك الشاب.

***

نقلت كافة محتويات مقبرة الملك توت عنخ آمون والكنوز التي وجدت بها إلى المتحف المصري بالقاهرة ولم يترك في المقبرة بوادي الملوك بطيبة غير مومياء الملك داخل التابوت في نفس المكان الذي اختير له ليرقد فيه رقدته الأبدية.



مومياء الملك توت عنخ آمون لا تزال في مقبرته بوادي الملوك بالأقصر

الفهرس